

ماذا جرى أيتها الاميرة ؟

الطفل مكتبة الطفل مكتبة الطفل مكتبة الطفل مكتبة الطفل مكتبة الطفل

٣٥ السلسلة القصصية

ماذا جرى أيتها الاميرة ؟

مكتبة الطفل
دائرة ثقافة الاطفال
وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

السلسلة القصصية

٣٥

ماذا جرى أيتها الاميرة ؟

تأليف : هديه عبد الهادي
تصميم: زهير النعيمي
رسوم : عبد الفتاح الضوي



كانَ الاميرُ (رعد) يُحب زوجتَهُ الأميرةَ (جمان) حُباً شديداً لذكائِها ، ونُبْلِها ، وطيبةِ قلبِها . . .

وكانت الأميرةُ (جمان) تتمتعُ بجمالٍ ساحرٍ . . . كان وجهُها يشبهُ وردةً ناضرة ، وعيناها تُشبهان عيونَ المها ، وقَوامُها مثلَ غصنِ البان ، وكان اجملَ مافيها أسنانُها اللؤلؤ ، التي تكشف عنها ابتسامَتُها الساحِرة . . . وكانَ الأميرُ (رعد) يوفرُ للأميرةِ (جمان) كلَّ اسبابِ السعادةِ ، وقد أحضَرَ لها مجموعةً من الخيولِ الأصيلةِ ، التي تُحبُها ، وتركبُ واحداً منها ، عند القيامِ برياضتِها الصباحيةِ ، في الغابةِ القريبةِ من القصر . . .

أما العرباتُ الفاخرةُ ، المطعَّمةُ بالذهبِ والفضةِ ، والتي تَجُرّها الخيولُ الأصيلةُ ، فكانت تَستَقِلُّها عندما تذهبُ الى الحفلاتِ الرسميةِ ، او في التَجَوُّلِ في شوارعِ المدينةِ ، وميادينِها ، فيستقبلُها الناسُ بحبٍ وفرحٍ ، ويتجمّعونَ على جانبيِ الطريق ، يهتفونَ بحياتِها ، ويُحَيُّونَها . . .



ويعودُ حُبُّ الناسِ العظيمِ للأميرةِ ، الى المشاعرِ النبيلةِ ، التي يحملها قلبُها الكبير . . .

فقد حدثَ ذاتَ مرةٍ ، أن مرَّتِ الأميرةُ ببيتٍ صغيرٍ ، ورأتْ أولادا يقفون على بابِ البيتِ ، وقد ظهرَ عليهم الحزنُ . .

نزلت الأميرةُ من عربتِها ، وتحدثتْ الى الاولادِ ، فعرفتْ أنَّ أُمَّهم مريضةٌ ، ارسلتْ سائقَ العربةِ ليحضرَ الطبيبَ ، ودخلتِ البيتَ الصغيرَ ، وراحت تعتني بالمرأةِ المريضة ، الى أنْ حضَرَ الطبيب . . .

وعندما خرجتِ الاميرةُ ، بعد ان اطمأنّتْ على المرأةِ ، تركت كيساً من النقود ، تحت وسادتِها . . .

ومرةً أخرى ، سمعتِ الأميرةُ أنَّ عاملاً لم يستطع الخروجَ الى العملِ ، بسببِ مرضِهِ ، وأنَّ لهذا العاملِ عائلةً كبيرة . . .

حزنتِ الأميرةُ ، وطلبت الى زوجِها الأميرِ تقديمَ المساعدةِ لعائلة العاملِ المريض ، فأمر بصرفِ مبلغٍ من المالِ لهم ، ومنذ ذلك اليوم ، والأميرُ يقدِّمُ المساعداتِ للعمالِ الذين يتعطلون عن العمل بسبب المرض . . .

وفتحتِ الأميرةُ بيتاً للأطفالِ الفقراء . . . وملجأً للعجزةِ . . . وعيَّنتْ يوماً كلَّ شهرٍ ، تقابلُ فيه الناسَ في قصرِها ، فتسمعُ شكاواهم ، وتزيلُ أسبابَها . . . وتُقدّمُ المساعداتِ للذينَ يحتاجونَ المساعدة . . .

لذلك أحبَّها الناسُ حباً شديداً . . . وسمَّوْها (الاميرةَ الطيبة) .

وكذلك أحبوا الأميرَ الذي يسهرُ على راحةِ أهلِ المدينة ، حتى غدَتْ مدينتُهم تنبضُ بالسعادةِ . . .

ولذلكَ كانوا يَتجمَّعونَ على جانبيِ الطريقِ ، عند مرورِها ، ليحيُّوها . . . ويهتفوا لها . . .

فكانت تعودُ الى القصر ، والسعادةُ تغمرُها . . .

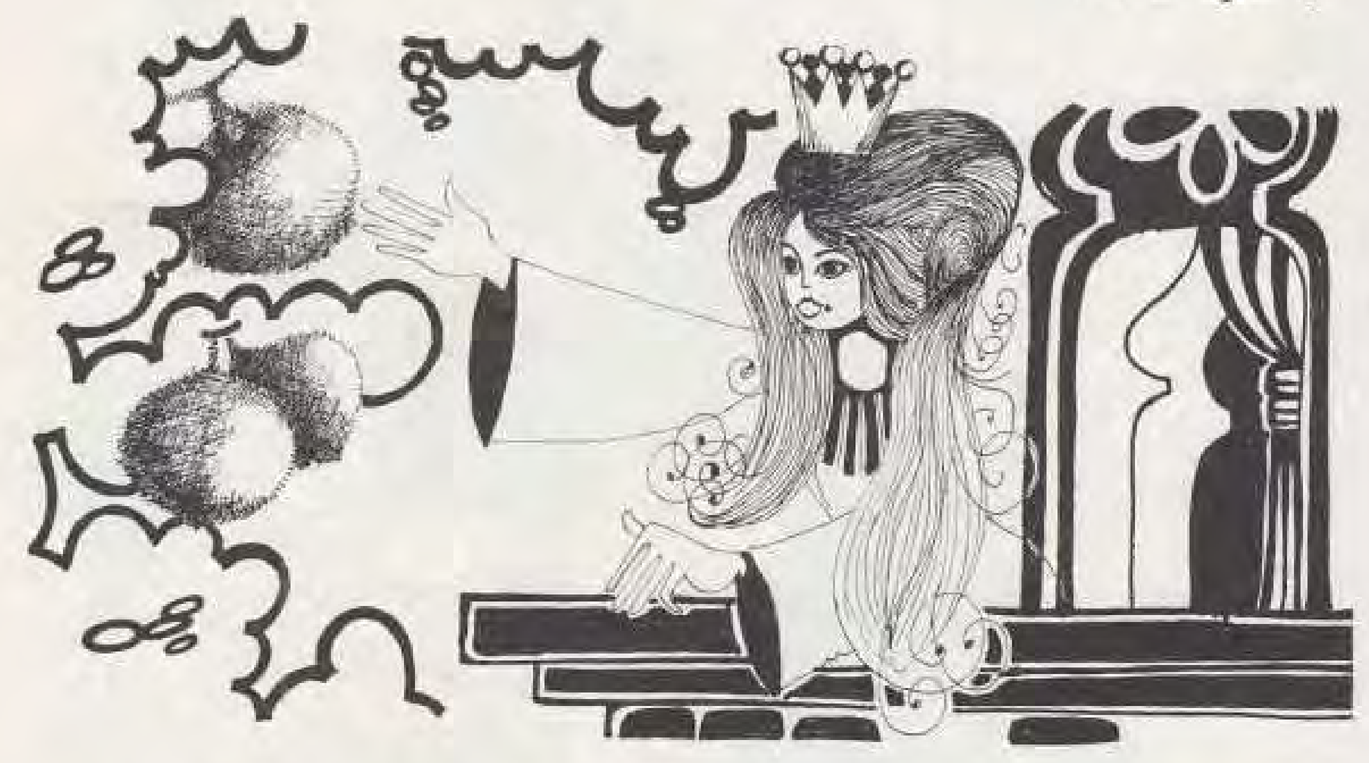
ويظلُّ يرنُّ في أذنيها قولُ الناسِ لها (ابتسمي أيتها الأميرة الغالية ، فابتسامتك تعطينا السعادةَ . . . لأنها تكشفُ عن أسنانِك اللؤلؤ . . .)

وذاتَ صباحٍ ، أطلّتِ الأميرةُ من شباكِ القصرِ ، على البستانِ ، فرأتْ على غصنٍ عالٍ ، من أغصانِ شجرةِ الجميزِ ، القريبةِ من الشباكِ ، بضعَ ثمراتٍ كبيرةٍ ناضجةٍ ! !

فرحتِ الأميرةُ ، عندما رأت ثمارَ الجميزِ ، فرحاً شديداً . . . لأنها تحبُّ ثمرَ الجميز . . . ولأنَّ موسمَ الجميز كان قد انتهى . . .

استدعت أحدَ الخدم ، وطلبتْ إليه إحضارَ الثمار التي تفضلها على جميعِ الفواكه . . .

أسرعَ الخادمُ الى الشجرة ، فصعدَ الى أعلاها ، وقطفَ الثمارَ التي طلبتها الأميرةُ ، وأحضرَها لها . . .



تناولتِ الأميرةُ واحدةً من الثمارِ ، فاذا هي منخورةٌ ! ! وتناولت أُخرى ، فاذا هي منخورةٌ ايضا ! ! كانت كلُّ الثمارِ منخورة ! !

تألمتِ الاميرةُ كثيراً . . . وسألتِ الخادمَ عن السببِ ! ! فقالَ الخادمُ: هناك عشٌّ به عصافيرُ صغيرةٌ في أعلى شجرةِ الجميز ، ولا شكَّ أنَّ العصافيرَ الصغيرةَ ، هي التي تنخرُ الفاكهةَ بمناقيرها .

غضبتِ الأميرةُ غضباً شديداً . . . لقد حرَمَتها هذه العصافيرُ من أكلِ فاكهةِ الجميزِ التي تُحبُّها . . . والتي انقضى موسمُها . . .

وأمرتِ الخادمَ انْ يعودَ الى الشجرةِ ليتلفَ العشَّ ، وينْزعَهُ عن الشجرةِ . . . فعلَ الخادمُ مائمرتهُ به الأميرةُ ، فصعد الى الشجرة ، وأزال العشَّ ، فهوتِ العصافيرُ الصغيرةُ الى الأرض ، وماتت . . .

وعندما عادَ العصفورُ الى عُشّهِ ، لم يجدْهُ . . . وراحَ يبحثُ عن فراخهِ الصغيرةِ التي تركها في العشِ ، فلم يجدْ أحداً منها ! !

حزن العصفورُ على أولادهِ حزناً شديداً . . . وسألَ شجرةَ الجميز ، فقالت له : إنَّ الأميرةَ أمرتْ بإزالةِ العش ، لأنَّ العصافيرَ الصغارَ أكلتْ ثمارَ الجميزِ ، التي تحبها الأميرةُ . . .

وقف العصفورُ على غصنِ شجرةِ الجميزِ ، وراح يبكي بحرقة . . .

وفتحت الأميرةُ نافذةَ غرفتِها ، لتسعدَ برؤيةِ الأشجارِ والورود ، وتتمتَّعَ بالنسيمِ العليلِ ، فقفزَ العصفورُ على غصنٍ قريبٍ من نافذةِ الاميرةِ ، وقال لها :

أيتها الأميرةُ القاسية
قتلتِ فراخي من أجلِ ثمراتِ جميز . . .
وكان بإمكانك أنْ تحصلي على أطيب ثمارِ الدنيا . . .
وكما حرمتِ عصفوراً مسكيناً من فراخهِ
فسأحرمُكِ من أسنانِك اللؤلؤ . . .
لأن فاقدَ الأسنانِ لا يبسم . . .
والذي لا يبسمُ ، سيخسرُ كثيرا . . .

غضبتِ الأميرةُ ، أشدَّ الغضب ، لأن هذا العصفورَ تجرَّأ على تهديدِها ! ! واستدعتِ الخدَمَ ، وأمرتهم أن يطردوا العصفورَ من البستانِ ، وأن يمنعوه من دخولِ بستانِ القصرِ مرةً أخرى . . .

أمضتِ الاميرةُ يومها منزعجةً . . . وأخبرتِ الأميرَ بما قالَهُ لها العصفورُ ! ! فطيَّبَ الأميرُ خاطرَها ، وقال لها (لا تخافي أيتها الأميرة الغالية . . . فلن يستطيعَ عصفورٌ أن يدخلَ بستانَ القصرِ مرةً أُخرى . . .) .



ارتاحتِ الأميرةُ واطمأنَّتْ. . . وقامت الى المرآةِ ، وأعادتِ النظرَ الى أسنانِها ، فرأتها تلمعُ مثل حباتِ اللؤلؤ. . . فقالت في نفسها (كيف صدَّقْتُ ماقاله هذا العصفورُ؟ ! ! وقصري محاطٌ بالجنودِ والحرسِ ، وزوجي الأميرُ يبسطُ نفوذَهُ على كل هذه البلادِ. . . فهل يستطيعُ عصفورٌ أنْ يتحدّى زوجي ؟ أو يُلْحِقَ الضررَ بأسناني ؟ !)

وفي المساء ، ذهبتِ الأميرةُ مع زوجِها الأميرِ إلى حفلةٍ كبيرة ، أقامها رئيسُ الوزراء في قصرِهِ ، واستقبلها الناسُ بالهتافِ والتصفيقِ بحرارةٍ. . . وأمضيا سهرةً رائعةً كانت تسمعُ خلالَها الناسَ يتهامسون قائلين : (ماأجملَ الأميرةَ ! ! وما أحلى ابتسامَتَها التي تكشفُ عن أسنانِها ! ! إنَّ أسنانَها تشبهُ اللؤلؤ ! !) .

عاد الأميرانِ الى قصرِهما بعد انتهاءِ السهرةِ. . . كانت الأميرةُ سعيدةً الى درجةٍ كبيرة. . . ودخلت غرفتَها لتخلعَ ثيابَها وترتدي ملابسَ النومِ ، وسمعت نَقْراً على زجاجِ النافذةِ ! ! فالتفتَتْ. . فإذا بالعصفورِ ! ! ! أسرعتِ الأميرةُ الى العصفورِ لتمسكَ به . . . ولكنَّهُ طارَ بعيداً ، وراحَ يحومُ في الفضاءِ امامَها. . . ويغنّي :

لقد رقصتِ أيتها الأميرةُ بسعادة. . .
أما أنا . فكنتُ أبكي فراخي . . .
لن تسمعي من يقولُ :ماأجملَ أسنانَكِ اللؤلؤ ! !
لأنَّ أسنانكِ ستسقط . . .
مثلما سقطتْ فراخي الصغارُ من العش . . .

صرختِ الأميرةُ. . . فجاءَ الأميرُ مسرعاً. . . وعندما عرفَ أنَّ العصفورَ عادَ الى تهديدِها ، أمر الحَرَسَ أنْ يطاردوا العصفورَ ، ويصطادوه. . .

عملَ الأميرُ على تهدئة الاميرةِ الغاضبةِ ، وأكدَّ لها أن العصفورَ لن يُفلِتَ من الحراس . . . فزالتْ مخاوفها ، ونامتْ. . .

وفي الصباحِ ، طلبَ الأميرُ القهوةَ ، له وللأميرة ، كما يفعلُ كُلَّ صباحٍ ، وجاءَ الخادمُ بها ، وما أنِ ارتشفتِ الأميرةُ قليلاً منها ، حتى صرخَتْ صرخةً تدلُّ على شدةِ ألمِها ! وقال لها

الأمير «لعلَّك ارتشفتِ القهوةَ ساخنةً ؟ . والسخونةُ الشديدةُ تؤذي الأسنانَ . . . لا تخافي أيتها الأميرة الغالية . . .»

انتظرتِ الأميرةُ حتى بردت القهوةُ ، ثم حاولتْ أن ترتشفَ منها ، فإذا بها تصرخُ ثانيةً من شدةِ الألم ! !

وقالتِ الأميرةُ وهي تمسحُ دمعةً نزلتْ على خدِّها: «إنَّ لعنةَ العصفورِ قد حلَّتْ بأسناني ! ! إنني أشعرُ بألمٍ شديدٍ أيُّها الأمير !» .

انزعجَ الأميرُ وطلبَ طبيبَ الأسنانِ ، فحضرَ على عجلٍ ، وفحصَ أسنانَ الأميرةِ ، فلمْ يجدْ بها تلفاً . . . فأعطاها حبوباً مُهدِئة . . .

اطمأنَّ الأميرُ ، وهدأتِ الأميرةُ . وقامَ الخدمُ بوضعِ ستائرَ ثقيلةٍ على النافذةِ المُطِلَّةِ على البستان . . .

مضى يومان ، والأميرةُ لا ترفعُ الستائرَ عن النافذة . . . وفي اليومِ الثالثِ قال لها الأمير (لقد أحضرتُ لكِ مُهْرَةً أصيلة لا مثيلَ لها بين خيولنا ! ! فاركبيها ، واذهبي بها لرياضتِكِ الصباحيةِ في الغابةِ . . .) .

فرحتِ الأميرة كثيراً . . وبخاصة أنها لم تَقُمْ برياضتِها الصباحيةِ منذ أنْ هدَّدَها العصفورُ بفقدِ أسنانِها . . . وقررت أن تنزلَ الى الإسطبلِ لتمتطي المهرةَ الجديدةَ الأصيلة . . .

أحضر الخادمُ للأميرين عصيرَ الليمونِ الطازجِ الممزوجِ بالسكر ، فتناولتِ الأميرةُ الكأسَ ، وارتشفتْ قليلاً منه ، فإذا بها تزيحُ الكأسَ عن فمِها بيدٍ مرتجفةٍ ! ! وتطلقُ صرخةً تدلُّ على مقدارِ ألمِها ! !

غضبَ الأميرُ غضباً شديداً . . . واستدعى طبيبَ الأسنانِ ، فحضرَ على عجلٍ ، وأعادَ فحصَ أسنانِ الأميرةِ ، ولم يجد بها تلفاً ! ! فأعطاها حقنةً مهدئةً ، وطلب اليها أنْ تستريح في فراشِها . . .

أمضتِ الأميرةُ بضعةَ أيام في الفراش . . وكان كلَّما ذهبَ تأثيرُ الدواءِ المُهَدّئ ، أعطاها الطبيبُ حقنةً ثانية . . . فتعودُ للنومِ من جديد . . .

وصارَ الأميرُ يجلسُ الى جانبِ الأميرةِ النائمةِ معظمَ الوقت . . . إنَّهُ يشعرُ بالحزنِ الشديدِ لما أصابَ الأميرةَ الحلوةَ الغالية . . .

وقالتِ الأميرةُ للأمير ، وقد صحتْ من تأثيرِ المُخَدِّرِ (لقد سببتُ لكَ المتاعبَ أيّها الأمير فصرتَ لا تذهبُ الى ديوانِ الإمارةِ بسببي ، وهذا لا يجوزُ أبدا) .

وقال لها الاميرُ «سأبقى الى جانبِكِ يا أميرتي الغالية ، الى أنْ تغادري الفراشَ وأنتِ على أحسنِ حال . . .»

تحامَلَتِ الاميرةُ على نفسِها ، وقالتْ له «إنني اليومَ أحسنُ حالاً . . . قُمْ الى الديوانِ أيُّها الأميرِ وانظرْ في أمورِ الناسِ كعادتِكَ ، وسأقومُ أنا لأقرأ كتاباً بدأتُ قراءتَهُ قبلاً . . .»

قامَ الأميرُ ، ونزلَ الى ديوانِهِ بخطىً ثقيلة . . . وقامتِ الأميرةُ ، وحملتِ الكتابَ وراحتْ تقرأ . . .

واذا بالعصفورِ ، يقفُ فوقَ المكتبةِ ، ويغنِّي :

أعطاكِ الطبيبُ مُهَدِّئاً فنمتِ

أمّا أنا ، فلم أجدْ طبيباً يُهَدِّئُ آلامي . . .

ليس هناك ألمٌ يشبه ألمَ فقدِ الأولادِ . . .

إلاّ ألمَ الأسنان ، إلاّ فَقْدَ الأسنان . . .





صرختِ الأميرةُ ، ورمتِ الكتابَ من يدها ، وتجمّع الخدمُ ، وجاء الحرس ولكنّ العصفورَ كان قد اختنق ! !

حملوا الأميرةَ الى الفراشِ وقد غابتْ عن الوعي . . . وأخبروا الأميرَ بما حدث ، فترك الديوانَ ، وجاء ومعه الطبيب ، ونصح الطبيبُ بالاستعانة بأطباء متخصصين في طبِ الأعصابِ وأطبّاءِ الصحة ، فاستدعاهم الأميرُ على الفور ، وبذلوا مجهوداً كبيراً ، الى أنْ استعادتِ الأميرةُ وَعْيَها . . .

وأمرَ الأميرُ بنقلِ الأميرةِ مِن القصر الذي يقيمون فيه ، واختار لاقامَتِها قصراً آخر من قصورهِ الفخمة . . .

انقضى النهارُ والاميرُ يلازِمُ الأميرةَ في القصرِ الجديد ، ويحاولُ أنْ يبعدَها عن ذكرياتِها التي تُعذّبها . . . حتى انتصفَ الليلُ ، فنامتْ . . .

وفي الصباحِ ، صَحَتِ الأميرةُ من نومِها ، فإذا على فراشِها حبّةُ لؤلؤ تلمعُ ! ! تناولت حبّةَ اللؤلؤِ مُتَعجّبةً ! ! فإذا هي أحدُ أسنانِها ، وقد سقط وهي نائمة ! !

راحتِ الاميرةُ تبكي وتنتحبُ . . . وذُهِلَ الأميرُ ! ! وكانَ يعتقدُ أنّ رحيلَهم عن القصرِ سيضعُ حدّاً لانتقامِ العصفور . . .

وقال للاميرةِ «لا تقلقي يا عزيزتي ، سأُحضِرُ لكِ أطباء ممتازين ، ملأتْ شهرتُهُمُ الدنيا ! !» .

فرحتِ الأميرةُ واطمأنّتْ . . . ووصل الأطباءُ الذينَ استدعاهم الأميرُ من كلِّ البلاد ، وفحصوا أسنانَ الأميرةِ ، فكانت نتيجةُ الفحصِ مثلَ نتيجةِ الأطباءِ الذين سبقوهم . . .

وصارتِ الأميرةُ جمان تجدُ كلَّ صباحٍ ، حبةَ لؤلؤٍ على فراشِها ! ! وتجدُ أنّها فقدتْ واحداً من أسنانِها ! ! فيسارعُ زوجُها الأميرُ الى إعطائِها الدواءَ المهدّيَّ لتنام ، خوفاً من أنْ تنهارَ من هولِ الكارثة . . .

سقطت جميعُ أسنانِ الأميرة . . وفشل جميعُ الأطباء في الحفاظِ على أسنانِها التي تشبهُ اللؤلؤ . . . وفارقتِ السعادةُ القصر . . . وخيّمَ الحزنُ والألمُ والمرارة . . . وصمتتِ الأميرةُ ولم تَعُدْ تتكلم . . . لأنها أصبحتْ لا تستطيعُ لفظَ بعضِ الحروفِ ، بسببِ فَقْدِ أسنانِها . . . وصارتْ تُمضي معظم أوقاتِها باكية . . .

وقال لها الاميرُ يوماً «لا تحزني يا أميرتي الغالية ، سأوصي لكِ على طاقمِ أسنانٍ لا يختلف أبداً عن أسنانكِ اللؤلؤ . . . فلا يستطيعُ أحدٌ أنْ يُفرِّقَ بينَ أسنانِكِ الطبيعيةِ وأسنانِكِ الصناعية . . .»

إنزوَتِ الأميرةُ في القصرِ ، وانقطعتْ عن الظهورِ أمامَ الناسِ بانتظارِ الأسنانِ الصناعية . . . فلم يكنْ أمامَها إلاَّ أنْ تقبلَ بالأمرِ الواقع . . .

وحضر الخبراءُ بصناعةِ الأسنان ، وصنعوا للأميرةِ طاقمَ أسنان لا يختلفُ أبداً عن أسنانِها اللؤلؤ . . . فوضعتْهُ الأميرةُ في فمِها ، وزالَ حزنُها ، وارتاحتْ نفسُها . . . وفرح الأميرُ فرحاً عظيماً . . . لأنَّ الاميرةَ قد تخلصتْ من أحزانِها . . . وعادتِ الابتسامةُ الى وجهها . وأقامَ حفلةً كبرى فرحاً بزوالِ المحنةِ عن الأميرةِ دعا اليها الوزراءَ والأعيانَ والوجهاءَ وزوجاتِهمْ ، وأمضَوْا سهرةً رائعة ، لمْ يتمتَّعوا بمثلِها منذُ مدةٍ طويلة . . . وبعد انتهاءِ السهرةِ ، دخلتِ الأميرةُ الى حجرتِها . وراحتْ تُمعِنُ النظرَ الى وجهِها الذي كان بالأمسِ قبيحاً ! ! وحمدتِ اللهَ أن عاد اليها جمالُها ، بعد أنْ حلَّتِ الأسنانُ الصّناعيةُ مكانَ الأسنانِ الطبيعية ، وهي مثلها جمالاً وبريقاً . . . .

خلعتِ الأميرةُ ملابسَ السهرةِ ، وارتدتْ ملابسَ النومِ ، وتصوَّرَتْ أنَّها ستنامُ نوماً هادئاً عميقاً لمْ تنعمْ بمثلِه منذُ شهرٍ . . .

وإذا بغناءِ العصفورِ يَصِلُ الى أسماعِها من قلبِ تمثالٍ بديعٍ في ركنِ الغرفةِ ! !

وقال العصفورُ يغنّي :

مَنْ حَرَمَ غيرَهُ السعادةَ ، فلنْ ينعمَ بها . . .
الأولادُ أغلى من الأسنانِ يا أميرتي . . .
وأغلى من ثمارِ الجميزِ . . .
لأنهم ثمارُ القلوبِ . . .



صرخت الأميرة . . . فاذا بالعصفور يقفز من قلب التمثال البديع ، ويهجم على فمها الذي فتحته وهي تصرخ . . . ويخطف طاقم الأسنان من فمها ، ويطير بعيداً . . .

وجاء الأمير على صرخة الأميرة . . . واستدعى الأطباء ليسعفوا الأميرة الغالية . . . وأسعفوها ، إلى أن هدأت ثائرتها . . . وقال لها الأمير «سأوصي الخبراء بصنع طاقم أسنان جديد لك ، يا أميرتي الغالية ، وسيعود لك جمالك وسحرك . . .»

إنطوت الأميرة على نفسها . وعادت الى الصمت ثانية . . . وكانت كلما وقعت عينها على المرآة ، ورأت وجهها الذي أصبح بلا أسنان . بكت بكاء مراً . . . وأمر الأمير بإخراج كل المرايا من القصر . . . وإغلاق كل الشرفات والنوافذ . . . وإسدال الستائر الثقيلة عليها ، لئلا يعود العصفور ويدخل القصر . . .

وشارك الأمير الأميرة حزنها . . . وانعكس حزنها على جميع من في القصر . . . الموظفين والحرس والخدم . . . إنهم لا يعرفون سبب حزن الأمير والأميرة . . . ولكنهم حزنوا لحزنهما . . . ولأن السعادة قد خرجت من القصر . . . ولم تدخله منذ مدة طويلة . . .

وجاء ، مرة ، أحد الحرس الى الأميرة وقال لها (ياسيدتي الأميرة ، لقد تجمع على باب القصر أناس كثيرون . . . وهم يستأذنونك في الدخول ، لأن غيابك عنهم طال . . . وليس من عادتك أن تحرميهم من لقائك . . . فإمّا أن تأذني لهم بالدخول ، وإمّا أن تخرجي اليهم كما جرت العادة . . .)

وكان من عادة الأميرة أن تستقبل الناس في قصرها مرة كل شهر . . . فتسألهم عن أحوالهم ، وتسمع شكاواهم ، وتقدم لهم المساعدة . . .

وكان من عادتها أيضاً أن تمر بالميادين والشوارع بعربتها فيتجمع الناس على جانبي طريقها يهتفون لها ويسعدون بابتسامتها الرائعة . . .

وقد مر الموعد الذي تستقبل فيه الناس . ولم تفتح أبواب القصر لاستقبالهم ! ! كما مضت مدة طويلة . ولم تنزل الأميرة الى الميادين والشوارع كعادتها . . .

ولمْ تستطعِ الأميرةُ أنْ تُطْلِعَ الخادمَ على ماأصابَها . . . ولمْ تُعْطِهِ الإذنَ لفتحِ أبوابِ القصرِ ليدخلَ الناس . . . لأنها لا تريدُ أنْ يرى أحدٌ وجهَها المشوَّه . . . ثم إنّها لا تستطيعُ الكلامَ من غيرِ أسنان . . . ولا تستطيعُ أنْ تبتسمَ لهم . . . وطالَ انتظارُ الناسِ على بابِ القصر ! ! فراحوا يهتفونَ هتافاتٍ تهزُّ الأرجاء ! !

أخرجي إلينا أيتُها الأميرةُ الطيبة
او افتحي لنا أبوابَ القصرِ لندخل
لا تسمحي للقطيعةِ أنْ تدخُلَ بيننا
ولا تقتلي في نفوسِنا الذكرياتِ الحلوة . . .



ووجدتِ الأميرةُ نفسَها مضطرَّةً لعملِ شيءٍ . . . فكَتَبَتْ ورقةً للخادمِ وأشارتْ إليهِ أنْ يحملَها الى الناسِ ، وقد جاءَ فيها :

«إنني مَريضةٌ . . . وأعتذرُ عن مقابلتِكم . . . وسأفتحُ لكم أبوابَ القصرِ عندما أُشفى . . . فاقبلوا عذري» .

قرأَ الناسُ ماجاءَ بالورقةِ ، فقلقوا على صحةِ الأميرة . . . وقالَ بعضُهم «نعودُ بعدَ أنْ تشفى الأميرةُ الغاليةُ» .

ولكنَّ آخرينَ قالوا «بل نختارُ ممثّلينَ عنّا ، يدخلونَ لعيادةِ الأميرةِ ، ويبلغونها قلقَنا على صحّتِها . . . وتمنّياتِنا لها بالشفاءِ العاجلِ . .» .

ووافَقَ الجميعُ على هذا الرأيِ . . . وطلبوا الى الخادمِ إبلاغَهُ للأميرة . . . انزعجتِ الأميرةُ كثيراً . . . لأنّها ، إنْ مَنَعَتِ الممثلينَ الذينَ سيختارونَهم منَ الدخولِ ، فسيُفَسِّرونَ ذلكَ تفسيراً خاطئاً . . . وإنْ هي سَمَحَتْ لهم بالدخول ، فسيعرفونَ ماأصابَها . . .

وقرّرتْ أنْ تخرجَ لهم . . . وأنْ تحيّيهمْ بأنحناءةٍ من رأسِها ، دونَ أنْ تتكلمَ . . . تحاملت على نفسِها ، وسارتْ الى الجمهورِ المحتشدِ على بابِ القصر . . . وعَلَتْ هتافاتُهم عندما رأوْا أميرتَهم المحبوبةَ قادمةً . . .



وقفتِ الأميرةُ بعيداً . . . وانحنت محيّيةً . . . واستغربَ الناسُ هذه الطريقةَ التي لم يفهموها ! ! وراحوا يتبادلونَ نظراتِ التساؤلِ والدهشة ! . . . ظلّتِ الأميرةُ واقفة . . . لا تقتربُ . . . ولا تتكلمُ . . . حتى ولم تبتسمْ ! !

وصاحَ أحدُهمْ بالناسِ «لنَعُدْ أيها الناسُ من حيث أتينا . . .» وبدأوا ينصرفون . . .

وصلَ الى سمعِ الأميرةِ ماكان يقولُهُ الناسُ وهم ينصرفون . . . سمعتْ من يقولُ «لماذا تتعالى علينا ؟ ألَسْنا نحنُ الذينَ أوصلناهم الى هذه المنزلة ؟» وسمعت من يقول «كانتِ الأميرةُ جميلةً . لأنها كانت متواضعةً . . . وكانت فاتنةً ساحرةً لأنها كانت تبتسم . . . ولكنها فقدتْ كلَّ جمالِها وسحرِها ، لِأنها لم تَعُدْ متواضعة . . . ولا باسمة . . .» وسمعتْ مَن يقولُ «أُتركوها وشأنَها . . . فالمغرورُ يَخسَرُ حُبَّ الناسِ وتأييدَهم . . . ولن نهتمَّ بها . . . ولن نؤيّدَها بعدَ اليوم» . . .

عادتِ الأميرةُ الى القصر ، وألقتْ بنفسِها على الفراش ، وهي أشدُّ ماتكونُ حزْناً وتعاسة . . . لقد خسرتْ كلَّ شئ ! ! كلَّ شئ ! ! جمالَها ! ! وسعادتَها ! ! وحبَّ الناس ! ! واحترامَهم ! !



ورجعَ الأميرُ من الديوانِ ، فوجدَ الأميرةَ على أسوإِ حال ! ! فأرسلَ الى الخبراء يَحُثُّهُمْ على الإسراعِ في عملِ طاقمِ أسنانٍ جديدٍ للأميرة . . .

بعد بضعةِ أيامٍ من العذابِ والألم ، أحضرَ الأميرُ طاقمَ الأسنانِ الجديدِ للأميرة . . . وطلبَ اليها أنْ تجعلَ وصيفتَها تلازمُها دائماً . . . حتى إذا أرادت أنْ تستبدلَ ملابِسَها بملابسِ النوم ، فلْتخلَعْ أولاً طاقمَ الأسنانِ وتَضَعْهُ في الخزانةِ الحديدية . . . مرَّ أسبوعٌ والأميرانِ ينعمانِ بالسَّعادةِ ، وصارتِ الأميرةُ تستدعي وصيفَتَها ، لتكونَ الى جانبِها إلى أن يعودَ الأميرُ من ديوانِه . . . وضاعفَتِ الأميرةُ الحذرَ ، فصارت تحفظُ طاقمَ الأسنانِ الجديدِ في الخزانةِ الحديدية ، اذا اضطُرَّتْ الى خلعِهِ من فمِها . . . وذاتَ صباح ، حَنَّتِ الأميرةُ الى رياضتِها الصباحيةِ ، وبخاصَّة أنها لم تركبِ المهرةَ الأصيلةَ الجديدةَ بعد . . .

لبستْ ثيابَ الركوبِ بسرعةٍ ، وقالتْ للأميرِ «ها أنا جاهزة أيّها الأمير . . . وأشعرُ أنّي استعدتُ نشاطي وحيَويَّتي . . . »

فرحَ الأميرُ فرحاً شديداً ، وأصدرَ تعليماتِهِ الى الخدمِ ليملأوا قاعاتِ القصر بالورودِ والرياحين . . . وأمسكَ بيدِ الأميرةِ السعيدة ، ونزلا معاً الى الإسطبل . . . امتطتِ الأميرةُ المهرةَ الأصيلةَ الجديدةَ ، وامتطى الأميرُ صهوةَ حصانِهِ الذي يفضِّلُه . . . وتوغلا في الغابةِ القريبةِ من القصر . . .

تسابقا في الغابةِ بسعادة . . . وضحكا طويلاً . . . وترجّلا فترةً قصيرةً ، قطفتْ خلالها الأميرةُ بعضَ الزهورِ التي تُحبُّها . . . ثم عادا الى القصرِ الذي امتلأ بالزّينات والورودِ والرياحينِ . . . والدُّنيا لا تَسَعُها لِشِدَّةِ فرحِها . . .

تناولا الغداء الفخمَ الذي أعَدَّهُ طاهي القصر . . . ثم جلسا في الشرفةِ يتبادلانِ الأحاديثَ الحلوة . . .

وقالتِ الأميرةُ والفرحُ يغمرها «لقد عادتِ السعادةُ لنا أيّها الأمير ! أشْعُرُ أنّني في عيد . . . » .

ضحكَ الأميرُ بسعادة ، وقال لَها «صَدّقيني أيتها الأميرة الغالية ، إنَّ هذه الأسنانَ لا

تختلفُ عن أسنانكِ الطبيعية في شيْ ! ! بل إنّك تبدين أجملَ مِمّا كُنْتِ ! ! فما عليكِ إلاّ أنْ تكوني دائماً معي . . . أو معَ الوصيفة . . . ضاعفي الحذرَ ياعزيزتي ولا تُهملي . . . وستنتهي المشاكل . . . هذا أمرٌ سهل . . . أليس كذلك ؟ »

وإذا بالأميرةِ تعطسُ عطسةً شديدةً ، أطارتْ طاقمَ الأسنانِ من فمِها ! ! وأسرعَ الأمير يبحثُ عنه ليُعيدَهُ اليها ، ولمْ يجدْهُ ! !

بحثتِ الأميرةُ أيضاً عن طاقمِ الأسنان ، وتعاونتْ مع الأميرِ في البحث . . . فلم يجداه ! ! نادى الأميرُ الخدَمَ وكلّفَهُم بالبحث . . . وبحثوا تحتَ المقاعدِ ، وفوقَها ! ! وبينَ المناضِد وتحتَ التماثيلِ ! ! ورفعوا السجادَ عن الأرضِ ! ! دون جدوى ! .

وصاحَ الأمير بعصبية «كفّوا عن البحث . . . ليذهبْ هذا الطاقَمُ الى الجحيم ! !» .

أمسَكَ بالأميرة الذاهلةِ من يدِها ، ودفعَها أمامَهُ الى غرفةِ الجلوس . . . وقالَ لها «لا تحزني أيّتها الأميرةُ ، فقد صنعَ الخبراءُ العديدَ من أطقُمِ الأسنانِ لكِ ، حتى اذا فُقِدَ أحدها ، أحضرنا غيرَه . . . حتى لو فقدتِ كلَّ يومٍ طاقماً . . . اعتمدي عليَّ أيّتها الأميرةُ الغالية . . .» .

هدأتِ الأميرة . . . وجلستْ على مقعدٍ قريب . . . وأسرعَ الأميرُ الى الخزانةِ الحديدية وكانَ قد وضعَ فيها العديدَ من أطقُمِ الأسنانِ التي صنعها الخبراء . . .

فتحَ الأميرُ الخزانةَ على عجل . . . ووقف أمامَها مصعوقاً ! ! لَمْ يجدْ في الخزانة طاقماً واحداً مع أنَّ مفتاحَ الخزانةِ الحديديةِ معه ! ! ولا يستطيعُ أحدٌ فتحَها غيرُه ! !

راحتِ الأميرةُ تناشدُ الأميرَ إحضارَ طاقمِ الأسنانِ الذي وعدها به . . . ولم يعرف الأميرُ كيفَ يخبرها بفقدِ جميعِ أطقُمِ الأسنانِ من الخزانة ! ! ولكنّهُ فكّر . . . وقال لها «يظهرُ أنّني لم أحتفظْ بها في هذه الخزانةِ أيّتها الأميرة الغالية ! ! ولابُدَّ أنّني أودعتها خزانتي في الديوان ! ! إنّني أصبحتُ كثيرَ النسيانِ ياأميرتي . . .»

فقالتِ الأميرةُ برجاء «أرجوكَ أنْ تحضرها معك ، عندما تعود . . . أرجوكَ ياعزيزي . . .» .

نزلَ الأميرُ الى الديوانِ مسرعاً . . . وطلب الى الخبراء صُنْعَ أطقمَ جديدة . . . وبالسرعةِ الممكنة . . . واخبروه أنَّهُ لا يمكنُ إنجازَ طاقمٍ أسنانٍ واحد ، قبل ثلاثةِ أيامٍ على الأقل . . .

وعاد الأميرُ في المساءِ ، ولم يكنْ معه طاقَمُ أسنانٍ للأميرة . . . وحزنتِ الأميرةُ ، وقالتْ للأميرِ «لاشكَّ أنّكَ مَللْتَ هذا الوضعَ أيها الأمير . . . إنني أرهقتُك ، وسبّبتُ لكَ المتاعب . . .» .

أكدَّ لَها الأميرُ أنّهُ سعيدٌ بالوقوفِ الى جانبِها . . . وأنّهُ لا يفكرُ إلّا بأمرِها . . . وقال لها «مفتاحُ الخزانةِ في الديوانِ ضائع . . . وسأُحضرُ لَكِ طاقَمَ الأسنانِ حالما أجدُ المفتاح . . .» .

لم يستطعْ أنْ يخبرها بالحقيقة . . . لأنَّ اليأسَ سيقتلُها إنْ هي عرفت . . . كما أنّهُ لا يستطيعُ أنْ يخبرَها أنّها لن تحصلَ على طاقمِ أسنانٍ جديدٍ قبلَ مرورِ ثلاثةِ أيام . . . لذلك راحَ يعلِّلُها بالأملِ ، رحمةً بها . . .

أمضتِ الأميرةُ الأيامَ الثلاثةَ وكأنّها ثلاثةُ أعوام ! ! وقال لها الأميرُ في صباحِ اليومِ الرابعِ «بُشراكِ ياأميرتي الغالية . . . لقد وجدتُ مفتاحَ خزانةِ الديوان . . . وسأحضرُ لكِ طاقَمَ الأسنانِ عند عودتي . . .» .

فرحتِ الأميرةُ فرحاً شديداً . . . وقامت تُشيّعُ الأميرَ الى بابِ القصر . . . ثم عادتْ لتُكملَ قراءةَ كِتابٍ أعجبَها . . . وتنظرَ كلَّ فترةٍ الى ساعتِها ، تَعُدُّ مُضِيَّ الوقتِ بالدقائقِ والثواني . . .

ولاحَ لها الأميرُ قادِماً من الديوان . . . رأتهُ من نافذةِ الغرفة . . . فأسرعت تستقبلُهُ على الباب . . .

دخل الأمير ضاحكاً . . . وبيدِهِ عُلبةٌ كبيرة . . . وأرادتْ انْ تتناولها منه ، فلم يسمحْ لها بذلك . . . وقال لها «انتظري أيتُها الأميرةُ الغالية ، سأُعطيكِ طاقماً ، وأَحفظُ الباقي في الخزانة . . .» .

أسرعَ الأميرُ الى النوافذِ ، وراحَ يغلقُها ، ويسدلُ عليها الستائرَ ، وأسرعتِ الأميرةُ تقفلُ الأبوابَ بالمفاتيح . . . ثم وضع الأميرُ العلبةَ التي يحملها على المنضدةِ ، وفتحها . . .

ورأتِ الأميرةُ كميةً كبيرةً من أطقمِ الأسنان ! ! فصاحتْ بفرحٍ (شكراً يا أميري الغالي . . . لن تنفدَ هذه الكميةُ ، حتى ولو خسرْتُ كلَّ يومٍ طاقماً ! ! أيها الأميرُ العظيمُ النبيل . . . ما أعظمَكَ ! ! ! وما أكبرَ قلبَك ! !)



فَتحَ الأميرُ الخزانةَ الحديديةَ وأَوْدَعَ أطقمَ الأسنانِ فيها ، بعد أن أعطى الأَميرَةَ طاقَماً منها . . ثم أقفلَ الخزانةَ بالمفتاحِ ، ونادى أحدَ الحرسِ ، وقالَ لهُ. سيكونُ عَمَلُكَ حراسةَ هذه الخزانة . . . بالتناوبِ مع حارسٍ آخر تختاره . . . وإيّاكَ أنْ تتركَ مكانَكَ في الحراسةِ ، إلاّ بعدَ أنْ يأتي الحارسُ الآخر . . . وأنتما مسؤولانِ اذا عبَثَ أحدٌ في الخزانة . . . أتَفْهَمُ ما أقولُ أيّها الحارس ؟ ؟

فقالَ الحارسُ:(سمعاً وطاعةً يا سيدي . . . سأبقى في مكاني هذا ، إلى أنْ أُسلِّمَ حراسةَ الخزانةِ الى زميلي . . . فَثِقْ بنا أيّها الأمير . . . واعتمِدْ علينا . . .)

خرج الحارسُ ، وغابَ قليلاً ، ثم عادَ ، ومعَهُ حارسٌ آخر ، قويُّ العضلاتِ ، خفيفُ الحركةِ ، وقالَ الحارسانِ للأميرِ (تأكَّدْ ياسيدي الأميرُ أنَّ أحداً لنْ يستطيعَ الأقترابَ من الخزانة . . .)

وقالَ لهما الأميرُ (وإذا رأيتما عصفوراً ، فطارِداه ، واصطاداه ، ولو ابتعدَ الى آخرِ الدنيا ! !)

وقال أحدُهما للآخرِ ، بعد أنْ خرجَ الأميرُ (هل يُعلِنُ أميرُنا الحربَ على العصافيرِ؟ ! !)

ضحكَ الحارس الثاني ، وقال (لا شكَّ أنّه يعني أنْ نهتَمَّ اهتماماً شديداً بالحراسة . . . أمّا طلبُهُ مطارَدَةَ العصفورِ الى آخرِ الدنيا ، فليس أكثرَ من مِثال . . . إنني أتصورُ أنَّ في الخزانةِ سرّاً خطيراً ، لا يريدُ الأميرُ أنْ يَطَّلِعَ عليه أحد ! !)

وضعتِ الأميرةُ طاقَمَ الأسنانِ في فمِها . . . وراحتْ تتأملُ وجهَها في المرآة . . . فاطمأنَّ قلبُها . . . وارتاحتْ نفسُها . . .

خرجَ الأميرُ الى ديوانِهِ ، هادئَ البالِ ، بعد أنْ أوصى الوصيفةَ بالبقاءِ الى جانبِ الأميرةِ ، وعدمَ تركِها وحيدةً ، مهما كانتِ الأسباب . . .

تحدثتِ الأميرةُ الى الوصيفةِ حديثاً فيه دعابة . . . وفيه مرح . . . كانت محتاجةً الى مناسبةٍ تتحدث فيها . . . لقد صمتَتْ طويلاً . . . وطويلاً جداً . . . كانت لا تتكلَّمُ في كلِّ الأوقاتِ التي يخلو بها فمُها من الأسنان . . . لقد غدا الصمتُ شيئاً رهيباً بالنسبة لها ! !

وقالتِ الأميرةُ للوصيفةِ (أُريدُ أنْ أنزل الى الميادينِ والشوارعِ ، كعادتي ، وستذهبين معي أيَّتها الوصيفة . . هيا . . .)

أخرجَ السائقُ العربةَ الفخمةَ الجديدةَ ، فاستقلَّتْها الأميرةُ والوصيفةُ ، وقالتِ الأميرةُ للسائق (إذهبْ بنا في جولةٍ ، أيَّها السائق . جولةٍ مثلَ الجوْلاتِ التي كنتَ تقومُ بها من قبل . . . أُقصدْ بنا الميادينَ والشوارعَ الكبيرةَ .)

انطلقتِ العربةُ من القصرِ ، ولكنَّ الناسَ الذين كانوا يتواجدونَ على الطريقِ ، كانوا يديرونَ ظهورَهم ، عندما يروْنَ عربةَ الأميرة ! ! ولم يتجمَّعوا على الطريقِ للهتافِ للأميرة ! ! حتى ولمْ يصفقوا لها ! !

استغربتِ الوصيفةُ ما ترى ! ! ولكنَّ الأميرةَ كانتْ تعرفُ سببَ إعراضِ الناسِ ونفورِهم . . ولم تخبرِ الأميرةُ وصيفتَها بالسبب . . . لأنَّها لا تريدُ أن يعرفَ أحدٌ شيئاً عن محنتِها . . . ولا تريدُ أنْ يعرفَ أحدٌ أنَّ الأسنانَ في فمِها صناعية .

وقالتِ الأميرةُ للسائق: عُدْ بنا الى القصر أيَّها السائق . إنني أشعرُ بالتعب . . .

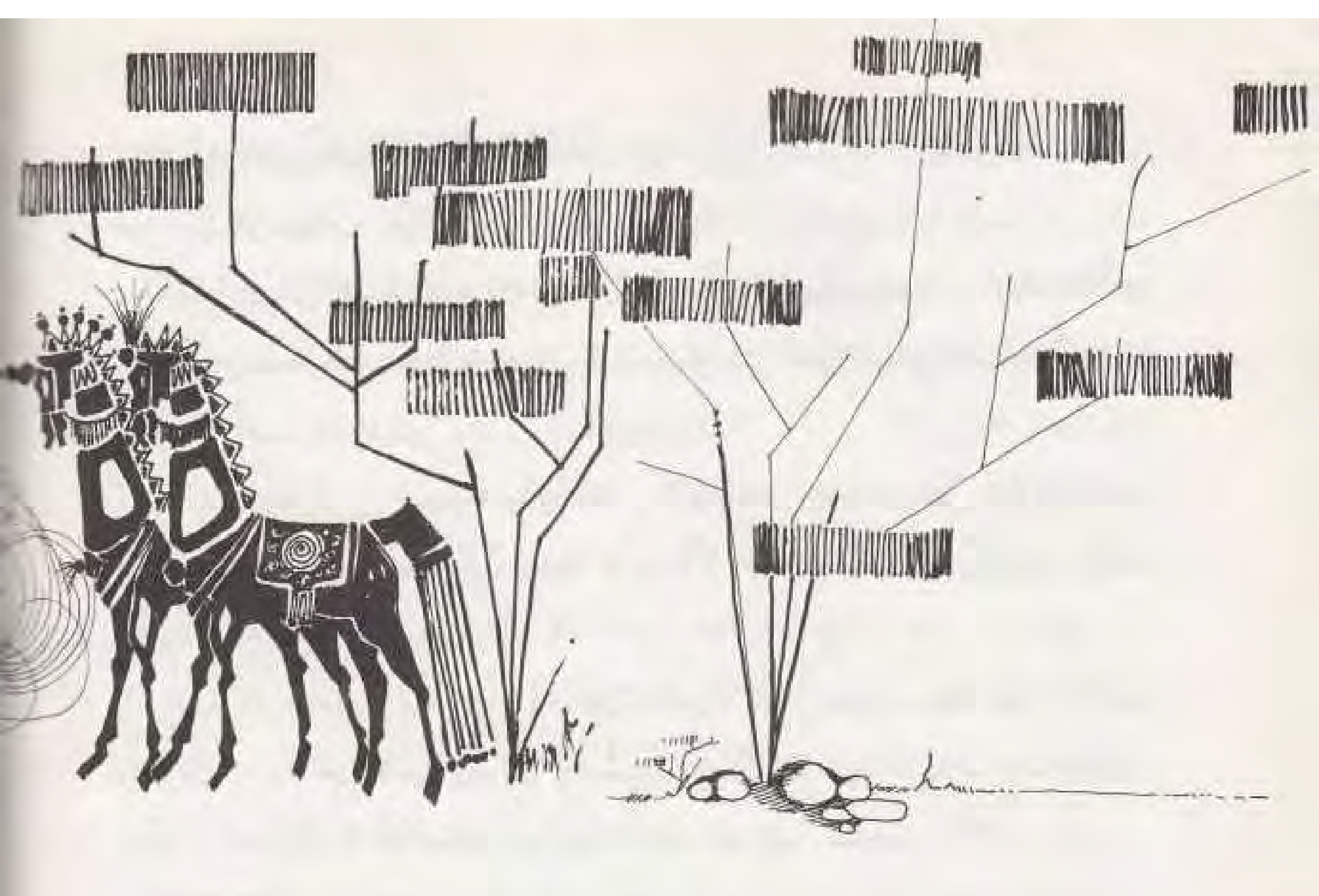
عاد السائقُ بالعربةِ الى القصرِ ، ونزلتِ الأميرةُ ، واتَّجهتْ الى سريرها . . . إنَّها تشعُرُ بالتعبِ حقاً . . . وتشعرُ بالألمِ أيضاً . . .

إستلقتْ على فراشِها . . وجلستِ الوصيفةُ على مقعدٍ قريب من الفراش . . ولاحظتْ أنَّ الأميرةَ تُغمِضُ عينيها . . . وكأنَّها تتحاشى رؤيةَ شيْءٍ تخشاه ! !

عادَ الأميرُ عندَ الظُّهرِ ، وقامتِ الأميرةُ وشاركته تناولَ الغداءِ ، ولم تخبرْهُ عما رأتهُ مِن إعراضِ النَّاسِ عنها . . . إنَّها تشعُرُ أنَّ الناسَ أهانوها . . . ولكنَّها لا تريدُ أن يعرفَ أحدٌ أنَّها أُهينت ! !

وقالَ لها الأميرُ ، بعد أن شربا القهوةَ ، «ليتكِ تشاركينني في لعبِ الشطرنج أيَّتها الأميرةُ الغالية . . إنَّكِ تحبِّين هذه اللعبة . . . وقد مضى زمنٌ منذُ أنْ لعبناها آخرَ مرَّة . . .»

رحَّبتِ الأميرةُ بالفكرة . . . وانسجمت في اللَّعِبِ ، حتَّى إنَّها نسيتِ الإهانةَ التَّي وجَّهَهَا النَّاسُ اليها في الصباح . . . وخطَرَ لها أنَّها بالغتْ في تفسيرِ تَصَرُّفِ النَّاس معها . . .



وقالتْ في نفسها:(إنَّ العربةَ التي كنت أستَقِلُّها جديدة . . ولعلَّ النَّاسَ لم يعرفوا أنّني أنا التّي أستقلُّها . . . مِن المحتملِ أنّهمْ لم يعرفوني) . تمتّعتِ الأميرةُ بلعبةِ الشطرنجِ معَ الأميرِ ، ومرَّ الوقت سريعاً وهما لا يشعرانِ بمروره . . . وأخيراً قال لها الأميرُ:(قومي نتناول العشاء ، لكي تنامي مبكرةً يا أميرتي ، فالنَّومُ المُبكّرُ يُعيدُ لكِ الصّحةَ والعافيةَ) .

تناولا العشاء ، وتبادلا أحاديثَ ممتعة . . . ثمّ ناما نوماً هادئاً عميقا . . .

وفي الصباحِ ، توجّهَ الأميرُ الى الديوانِ ، وشعرتِ الأميرةُ بحاجة الى الرّياضةِ الصّباحية . . إنها تشعرُ بنشاطٍ وحيويةٍ لم تشعرْ بمثِلها منذُ مدةٍ طويلة . . .

نزلتْ معَ وصيفتِها الى الاسطبلِ واعتلتْ كلٌّ منهما مهرةً أصيلةً ، وأوغلتا في الغابة ، وقد علتْ ضحكاتُهما . . .

وصادفَ مرورُ بعضِ العمالِ والفلاّحينَ في الغابةِ ، فاستوقفتهمُ الأميرةُ ، ونزلتْ عن ظهرِ مُهرتها ، وراحتْ تتحدّثُ اليهم . . .



سألتهمْ عن أحوالهم . . . وعن الأعمالِ الّتي أنجزوها . . . وعن موسمِ الحصادِ ، فسعدوا باهتمامِ الأميرةِ الطيّبةِ بهم . . وحملتْ نسماتُ الغابةِ أقوالَهمْ الى الأميرة ، بعدَ أن مضَوْا في طريقهم : -(لماذا يُشيعُ الناسُ أنَّ الأميرةَ لم تَعُدْ تهتمُّ بالشعب ؟ ! ! لماذا يقولون إنَّها أصبحتْ متعاليةً متكبرة ؟ ! ! إنهم يطلقونَ إشاعاتٍ غيرَ صحيحة . . .)

وجاءتِ الوصيفةُ بباقةٍ من زهورِ الغابةِ ، جمعَتْها أثناءَ انشغالِ الأميرةِ بالحديثِ الى العمّالِ والفلاّحينَ ، وقدّمتها لها . . . .

واصلتِ الأميرةُ والوصيفةُ التوغُّلَ في الغابة . . . كانَ الصّباحُ جميلاً . . . والهواءُ عليلاً . . والأميرةُ سعيدة . . .

وأخذتِ الأميرةُ تتصوَّرُ كيفَ سيتحدّثُ العمّالُ والفلاحونَ الى الناسِ عن الأميرة . . . لا شكَّ أنّهم سيدافعونَ عنها اذا حاولَ أحدٌ اتهامَها بالكبرياءِ والغرور . . . سوف يَضعونَ حدّاً للإشاعات التي تناقلَها الناسُ في البلد . . .

وبينما هي تفكرُ، وتتصوَّر... إذْ بعصفورٍ يلفُّ، في حركةٍ دائريةٍ، فوقَ رأسِ الأميرة ! ! ثم يقفُ على غصنٍ يعترضُ طريقَها... ويقول :

الألمُ يجعلُ العصفورَ يطير...
والألمُ يجعلُ الأسنانَ الصناعية تطير...
ستشاركينني الألمَ أيتُها الأميرة
فليس من العدلِ أنْ أتعذَّب أنا
وأنتِ تسعدين...

وأخذَ العصفورُ يرفرفُ بجناحيهِ، ويبكي... ثم يطير...

ورأتِ الوصيفةُ التي هزَّتها المفاجأةُ، شيئاً آخرَ يطير ! ! ولم يكنِ الشيءُ عصفوراً ! ! ولم يكنْ فَراشةً ! ! ولا جَرادةً ! ! إنَّهُ طاقَمُ أسنانِ الأميرةِ الجميلةِ قفزَ مِن فمِها الذي فتحتهُ لتصرخَ ! ! وراحَ يطيرُ هنا وهناكَ، مخترقاً أغصانَ الشَّجرِ وأوراقَها ! ! ثم ارتفعَ الى الفضاء وتلاشى ! !

صرختِ الأميرةُ بالشَّجر:(أيتها الأشجارُ النَّاكرةُ الجميلَ ! ! كيفَ سمحتِ للعصفورِ الشقيِّ بالاعتداء عليَّ ؟ ! ! وكيفَ تركتِ أسناني التي طارتْ مِن فمي تخترقُ أغصانَكِ وأوراقكِ دونَ أنْ تُمسكي بها، وتعيديها اليَّ ! !)

وردَّتِ الأشجارُ بصوتٍ فيه ألمٌ وحزن:(أيتها الأميرةُ الغاليةُ، أنتِ زرعتِنا وأعطيتِنا الحياةَ، فشكرنا جميلَكِ وأفسحنا لكِ مكاناً في أحضانِنا وقلوبِنا.. والعصفورُ صديقُنا... يُطرِبُنا بزقزقتهِ ويُدخلُ الفرحَ والسعادةَ الى قلوبنا. وقد بَنَى عشه فينا وتركَ صغارَهُ وديعةً عِندنا، لأنهُ يَثِقُ بنا... فأتلفتِ عُشَّهُ وقتلتِ صغارَه... وبهذا أسأتِ الى حُرْمَةِ الرعايةِ والحمايةِ التي منحناها للعصفور ولصغاره... أنتِ التي ظلمتِ العصفور... والقولُ المأثور يقول (الخيرُ بالخيرِ والبادي أكرمُ، والشرُّ بالشرِّ والبادي أظلم.. إنّنا في أشدِّ الحزنِ منذ أنْ امتنعَ العصفورُ عنِ الغناء على أغصانِنا.. وسيظلُّ الحزنُ يُخيِّمُ على هذهِ الغابةِ إلى أنْ يَتخلّى العصفورُ عن أحزانِه ويعودُ الى أغصانِنا يُعطينا برفَّةِ جناحيهِ الفرحةَ والسعادةَ...)

جَلستِ الأَميرةُ على العشبِ، وراحتْ تبكي بحرقةٍ ومرارة . . . وأسرعتِ الوصيفةُ المندهشةُ الى الأميرة، وراحتْ ترفعُ وجهَها بيْنَ يديها، وتمسحُ دموعَها . . .

وجاءتْ عجوزٌ من أقصى الغابة . وحينَ رأتْهما . . . أقبلتْ عليهما، وسألتِ الوصيفة عن سببِ بكاءِ الأميرة .

ولم تُجِبِ الوصيفة . . . كانتْ لا تعرفُ ماذا ينبغي عليها أنْ تقولَه ! ! فقالتْ لها العجوزُ أعطيني مكانَكِ الى جانبِ الأميرةِ، وأحضري كأسَ ماء . . .

تركتِ الوصيفةُ مكانَها للعجوز، فراحت تُدلِّكُ جسمَ الأميرةِ برفقٍ وحنانٍ، ولما أحضرتِ الوصيفةُ كأسَ الماء، قدمتهُ للأَميرةِ، فشربته . . . ثم اخرجتْ مِن حقيبتِها منديلاً أرختهُ على وجهها، وقالت «أريد العودةَ الى القصر . . .»

وقالتْ للعجوزِ الطيبةِ «تعالَي معي الى القصرِ أيَّتها العجوزُ الطيبةُ، إنني أشعُرُ بالراحةِ وأنتِ الى جانبي . . .»

فقالتِ العجوزُ «عندي أشغالٌ لا أستطيعُ تركَها . . . ولكنني سأعودُ اليكِ، بعد أنْ أُكمِلَ أشغالي . . . إنَّ حُبَّكِ يا ابنتي قد ملأَ قلبي . . .»

ذهبتِ العجوزُ من حيثُ أتتْ، واختفتْ بينَ أشجارِ الغابة . . .

ورجعتِ الأَميرةُ والوصيفةُ الى القصرِ حزينتيْن . . .

ورآهما الأميرُ وهما قادمتين، فترك ديوانهُ مسرعا . . . وأَمسكَ بيدِ الأَميرةِ المرتجفة، وأسرع بها الى غرفتها في القصر . . .

وقالَ لها الأمير، وقد عرف أنّها فقدت طاقمَ أسنانِها «لا تحزني يا أَميرتي . . . سأُحضرُ لكِ الآن طاقمَ أسنانٍ جديد . . . لم تَعُدْ هذه مشكلة . . .»

أخرجَ الأميرُ مفتاحَ الخزانةِ الحديدية من جيبِهِ، وأسرعَ الى الخزانةِ وفتحها . . . ولكنَّهُ تراجعَ مذعوراً ! ! فقد انطلقَ من داخلِ الخزانةِ الحديديةِ، كلُّ أطقمِ الأسنانِ الصناعيةِ دفعةً واحدةً، ثم اندفعت بِقُوَّةٍ الى النافذةِ القريبةِ، فاخترقت زجاجَها، وحطمته ! ! وطارتْ الى الخارج ! !

أيقنَ الأميرُ أنَّ لعنةَ العصفورِ تُلاحِقُهم ، وتتحدّاهم ! ! ولنْ يقفَ مكتوفاً أمامَ التَحَدّي . . . ولن يستسلمَ لعصفورٍ ضعيف ، وهو الذي قهرَ كلَّ خصومِه وأعدائه ! !
أتتِ الأميرةُ مُهَرْوِلَةً ، ووراءَها الخدمُ ، عندما سمعوا تحطُّمَ الزجاج ! ! وقالَ الأميُر وهو يتصنَّعُ الأبتسام: «أردتُ أنْ أرمي عَقِبَ سيجارتي من النافذةِ ، فاذا بي أرمي المفتاحَ بدلَ عقب السيجارة ! ! كانتْ غلطة ، نتج عنها تحطيم زجاجِ النَّافذة ! !»
خرجَ الأميرانِ من الغرفةِ ، وتركا الخدمَ يزيلونَ شظايا الزجاجِ المتناثرة . . . وجلسا في القاعةِ ، يرتشفانِ القهوةَ صامتين . . .



رأتِ الأميرةُ انزعاجَ زوجِها الشديد ، فلم تطلبْ منه طاقمَ الأسنانِ الذي ذهبَ ليحضِرَهُ لها من الخزانة . . . وقامَ الأميرُ الى ديوانه ، دون أنْ يذكرَ للأميرة شيئاً عن الموضوع . . . إنَّهُ يريد أن يخلوَ الى نفسه ، ليفكِّرَ في مواجهة هذا التحدي ! !

ونظرتِ الأميرةُ الى وجهها في المرآة فرأتهُ مُشَوَّهاً قبيحاً ، وقد انطبق فكَّاها لِخلو فمِها مِن الأسنانِ فانهارتْ وجنتاها ! ! وغارتا في الفراغِ الذي تركتهُ الأسنانُ فأصبحَ وجهُها مثلَ وجوهِ العجائز ! !

ولم تستطعْ احتمالَ مارأت ! ! فدخلتْ غرفتَها مسرعة . . . وأغلقتها على نفسها ، وأخذت تبكي .

إستدعى الأميرُ الخبراءَ في صناعة الأسنانِ ، وأمرهم بأنْ يتناوبوا العملَ ، ليلَ نهارَ ، لينجزوا المئاتِ من أطقمِ الأسنانِ المطلوبة ، وبأقصى سرعةٍ ممكنة . . .

وخرج الخبراءُ الى المصنعِ ، وهم يَعْجَبُون أشَدَّ العجب ! ! لماذا يحتاجُ الأميرُ الى كلِّ هذه الأسنانِ الصناعية !

وأمضى الأميرُ اللَّيلَ ساهراً ، يحكم وضع خطَّةٍ لمواجهةِ التَّحدي ! ! كانَ يرى الأمرَ مهزلة ! ! ! ولكنَّ المهزلةَ تَحَوَّلَتْ الى مأساة ! ! مأساةٍ فرضت نفسها على الأميرة ! ! وعليه ! ! وعلى جميع من في القصر ! !

انتهى من وضعِ الخُطة ، بعد مجهودٍ عظيمٍ وتفكيرٍ طويلٍ . . . أمضى ثلاث ليالٍ متواصلة ، في وضعِ الخطَّة ، لم ينمْ خلالها ساعةً واحدة ! !

ولكنَّ الخُطَّةَ التي وضعها لا يمكنُ تطبيقُها إلّا بعدَ أنْ يتسلَّمَ من الخبراء كميَّةً كبيرةً من أطقمِ الأسنان الصناعية . . . وقد شملت الخُطَّةُ أيضاً توزيعَ الأسنانِ الصناعيةِ التي يتم إنجازُها في صناديقَ حديديةٍ ، تُحفَظُ في أماكنَ متفرقة . . . بعضُها يُدفن تحت الأرض . . . وبعضها يُحفَظُ تحت الصخور في أعالي الجبال ، وبعضها يُربَط بحبالٍ طويلة ، ويلقى به في قعر البحر . . .

استعرضَ هذه الطريقةَ في حفظ الصناديقِ في خياله . . . فارتاحت نفسُه . . . واطمأنَّ الى سلامتِها . . .

إبتسم راضياً . . . وطلبَ كأساً من عصيرِ البرتقالِ الطازجِ ، فتناولَهُ ، وراح يستعرضُ في خيالِه خُطةَ مواجهةِ العصفورِ وقهْرِهِ . . .

وسرَحَ بنظرِهِ بعيداً . . . وراح يستعرضُ بخياله خطَّة المواجهة . . .

رأى جميعَ الأطفالِ في المدينةِ يحملونَ مصائدَ العصافيرِ التي يطلقونَ منها حجارةً صغيرةً على العصافيرِ ، فتقتلها . . . وابتسمَ بسعادةٍ ، عندما رأى بعينِ خيالِهِ آلافَ الحجارةِ الصغيرةِ تنطلقُ من مصائدِ الأطفالِ ، فتتساقطُ العصافيرُ كالذباب ! !

ثم راح يستعرضُ ، بخيالِهِ ، جميعَ العُمّالِ والفلاحينَ ، وهم يكسونَ أغصانَ الشجر بمادةٍ لاصقة . . . تمسكُ بالعصافيرِ التي تحطُّ على الأغصانِ ، فلا تستطيعُ الإفلاتَ منها . . .

إبتسم الأميرُ بسعادةٍ وهو يرى بخيالِهِ جميعَ العصافيرِ مشدودةً على الأغصانِ بالمادةِ اللاصقة . . . ورأى أيضاً رجالَهُ وهم يجمعونها . . .

فتح عينيه . . . وأخذَ القلَم ، وأضاف الى خُطتِهِ بنوداً جديدة . . . وأغمضَ عينيه ثانيةً . . . وراحَ يستعرضُ بخياله . . .

ورأى الحرسَ والجنودَ ينثرونَ على شرفاتِ القصرِ وحافاتِ النوافذِ ، حبوبَ القمحِ المسمومِ ، ويختبئونَ خلفَ الأبوابِ ، وهم ينتظرون تساقطَ العصافيرِ ، وقد قتلها السُّمُّ . . .

ورأى خَدَمَ القصرِ ، ومَعهمْ لفيفٌ من العُمّالِ ينصبونَ الفخاخَ والشِباكَ فوقَ سطوحِ القصرِ والمنازلِ المجاورة . . .

ورأى أخيراً ، ذلك العصفورَ الشقيَّ ، الذي سبَّبَ هذه المتاعبَ يطلبُ العفوَ والغفرانَ ، قبل أن تَحُزَّ رقبَتَهُ سكِّينُ الحارسِ الحادَّة . . .

وبعدها ، رأى الأميرةَ ترقصُ . . . ترقص فرحاً وسعادة . . . وهي في كاملِ زينتها ، وعليها أجملُ ثيابها . . .

اطمأنَّ الأميرُ الى خطتِه التي أحكَمَ صياغَتَها . . . فنهضَ من مجلسِهِ ، وطوى الورَقَةَ التي سجَّلَ الخطةَ عليها . . . ووضعها في جيبه ، ونادى الخادمَ ، دخل الخادمُ على عجلٍ ، فقالَ لهُ الأميرُ «إذهبْ أنتَ وزملاؤكَ الى السُّوقِ واشترُوا عشرةَ صناديق حديدية ، لها أقفالٌ غايةٌ في المتانةِ والقوّة ، وأحضروها بالسرعةِ الممكنة . . .»

خرجَ الخادمُ ، وسمعَ الأميرَ يستدعي أحدَ مُوظَّفيهِ ، ولما دخلَ الموظفُ قالَ لهُ الأميرُ «إذهبْ الى السُّوقِ ، واشترِ جنزيراً حديدياً طويلاً وتأكَّدْ من قُوَّةِ الجنزيرِ ومتانته».

خرجَ المُوظفُ ، وذهبَ الى السُّوق لشراء الجنزيرِ الحديديِّ الطويل . . .

واستدعى الأميرُ كاتِبَه وقال له «أرسِلْ الى السُّوقِ مجموعةً مِن الرِّجالِ يجمعون كلَّ الموادِ اللاصِقةِ ، ثم احفظها في مخزنٍ أمينٍ . . .»

ونادى الأميرُ البستانيَّ العجوزَ وقال له «مَن الذين يصنعون المصائدَ التي يَصطادُ بها الأطفالُ العصافير؟ »

فقال البستاني « اتقصدُ تلكَ الأقواسَ التي يربطونَ بها أوتاراً مَّطاطةً يضغطونَ بها على حجارةٍ صغيرةٍ فتنطلقُ الحجارةُ كالسِّهامِ وتقتلُ العصافير؟ »

فَقالَ الأميرُ «نعم ، هي»

فَقالَ البستانيُّ «يصنعها بِضْعَةُ رجالٍ فقراء ويبيعونها للأطفالِ الواحدةَ بدرهمٍ»

فقال الأمير «إجعلهمْ يصنعونَ لي مئاتٍ منها وسأدفعُ لهم مكافأةً كبيرةً». وطلبَ الأميرُ مِن رجالهِ صنْعَ فخاخٍ وشباكٍ ، وتلويثَ كمِّيةٍ من الحبوبِ التي تأكلها العصافيرُ بالسُّم . . . وأمَرَ أن يجري كلُّ هذا باقصى سرعةٍ ممكنة . . .

أتمَّ خبراءُ صناعةِ الأسنانِ صنعَ مئاتِ الأطقُمِ ، بعدَ المجهودِ المُضني والمتواصلِ ليلَ نهار . . .ووضعوها على مائدةٍ كبيرةٍ الى جانبِ الأجهزةِ التي يصنعونها بها والموادَّ المتبقية من المواد التي يصنعونها بها . . .

وقال أحدُهم «الحمدُ لله ، إنّنا صنعنا معجزة ! ! من يُصَدِّقُ أنّنا استطعنا إنجازَ هذهِ الكمّيّةِ الهائلةِ خلالَ أُسبوعٍ واحد؟ ! !»

رَدَّ زميلٌ له وهو يُلقي بنفسهِ على مقعدٍ وراءَ المنضدةِ «ولكنّه كانَ عملاً شاقّاً جداً ! ! إنّني أشعرُ أنني أنهارُ من شدَّةِ التعب ! ! »

وصاحَ خبيرٌ ثالثٌ: «لم يبقَ إلاّ ساعةً واحدةً على موعدِ تسليمِ البضاعة !؟ تماسكوا أيُّها الزملاء ، فعلينا أن نَضعَها في الصناديقِ الحديدية . . . وبَعْدَها ، نستطيعُ أنْ نُصفِّق لأنفسنا طويلاً . . .»

ضَحِكَ الخبراءُ بسعادة . . . وقالَ كبيرُهم «هلْ نذهبُ بعد التسليمِ الى نزهةٍ في الغابة؟ .؟»
وصاحوا جميعاً «بل ننام . . . إننا أحوجُ مانكونُ الى النّوم . . .»
فقالَ كبيرهم «إذنْ ، نجلسُ جلسةَ استرخاء ، . . . بانتظارِ وصولِ رجالِ الأمير . . . وبعد أن يتمَّ التسليمُ . . . ننامُ عشرَ ساعاتٍ متواصلة . . .»
وقال أحدهم «أتدرون أيّها الزملاءُ أنّني لاأفهمُ حاجةَ الأميرِ إلى كلِّ هذهِ الأطقُمِ من الأسنانِ الصناعية؟ ! ! »
وقال آخرُ« يظهرُ أنَّ الأميرةَ تستبدلَ طاقَمَ أسنانِها كلّما استبدلتْ ثيابها ! !»
وضجَّ الخبراءُ بالضحك . . .
فقال أحدهُم «لتستبدلِ الأميرةُ طاقَمَ أسنانِها كلّما استبدلتْ ثيابَها . . . ولِتَضَعْ عشرةً على رأسِها ، تزيِّنُ بها شعرَها . . . ولْتعلّقْ مائةً أخرى على الحائطِ الى جانبِ اللّوحات الزيتية . . . كلُّ هذا لايعنينا . . . المهمُّ أنْ نحصلَ على الأجرِ الباهظ الذي اتفقنا عليه مع الأمير الطيب . . .»
وقالَ آخرُ «وزيادةً على الأجرِ ، سيمنحُنا الاميرُ مكافأةً سخيّة ! ! ليتَ الأميرةَ تفكّرُ في رصفِ طُرُقاتِ القصرِ بأطقُمِ الأسنان ! ! إنها تجارةٌ رابحةٌ ياأصدقائي! !»

جلسوا جميعاً حولَ المنضدةِ الكبيرةِ ، وأغمضوا عيونَهمْ ، ليريحوها بعدَ السهرِ والإجهادِ المضنى . . .
وسمعوا صوتَ جسمٍ صلبٍ يخترقُ النافذةَ . وكأنّه سهم ! ! ففتحوا عيونَهم بقلق . . . ولما رأوْا عصفوراً يندفعُ الى الغرفة وبمنقاره خيطٌ طويلٌ عادوا الى استرخائهم . . . وأغمضوا عيونهم . . .
اقتربَ العصفورُ منهم ، فرفعَ أحدهم يدَه ليدفعَ بها العصفورَ ، وإذا بجزءٍ من الحبلِ الذي يحملُهُ العصفورُ يلتصقُ بيديهِ ، ويشدُّهما معاً ! ! ثم يَشُدُّ الخبيرَ ، ويقيّدُهُ الى الكرسي ويَمنَعُهُ عن الحركة ! !


حدث هذا بأسرع من لمح البصر ! !
وصرخَ الخبيرُ المشدودُ الى الكرسيِّ ،
فهبَّ أصحابُهُ مذعورين ! !

وأسرع أحدهم الى سكين ليقطع قيود صاحبه ، فإذا بجزء آخر من الحبل يلتصقُ بيديه فيشدُّهما معاً ! ! ثم يقيّدُه الى الكرسيِّ مثل صاحبه ! !

راح الخبراءُ الذين لم يؤسَروا بعدُ يطارِدونَ العصفور . ولكنَّه كانَ يقيِّد الواحدَ تلوَ الآخر ! ! حتَّى أصبحوا جميعُهم مُقيَّدينَ الى الكراسي ! !

وبهدوءٍ شديدٍ ، وقفَ العصفورُ على المائدةِ ، أمامهمْ ، وراحَ يضربُ بجناحيهِ فوقَ المائدةِ ! !

وإذا باطقمِ الأسنانِ الصّناعيةِ تنسحق ! ! وينتشرُ فتاتُها على المائدة ! ! وإذا بالأجهزة التي تَصنعُ الأَسنَانَ الصِّناعيةَ تتحَّطم ! ! وكأنما طحنتها ماكنةٌ كهربائية ! !

وإذا بالمواد التي يصنعونَ منها الأسنانَ تندلقُ من أوعيتها ! ! وتختلط بفتاتِ الأسنانِ الصّناعية ! ! والأجهزةِ المحطّمة ! !

□□□

استعرض الأميرُ المشترياتِ التي تكدست أمامه باهتمام ودقَّة . . .

وتأكَّد مِن صلابةِ الصناديقِ الحديدية ومتانتها . . .وكلّف ثلاثةً من الجنودِ الأشدّاء أنْ يختبروا قوةَ الجنزير الحديدي الذي سيربطُ بِه الصناديقَ التي سيحفظُها في قعرِ البحرِ ، فأجمعَ الجنودُ على متانتها ، واستحالةِ قطعها . . وسألَ عن المادةِ اللاّصقةِ ، ومصائدِ العصافيرِ التي يستعملُها الصغارُ في صيدِ العصافيرِ وعنِ الفخاخِ والشِباكِ والحبوبِ المسمومةِ ، فقالوا له أنَّ كلَّ ما أوصى عليهِ قد وصل . . .

عندها ، قالَ الأميرُ لكبيرِ الحرسِ : خُذْ هذهِ الصَّناديقَ الحديدية . ياكبيرَ الحرسِ واذهبْ الى المصنعِ ، حيثُ يعملُ الخبراءُ ، وسلِّمْهم الصناديقَ ، . . واطلبْ اليهم وضعَ البضاعةِ بها . وأقفلها قفلاً محكماً . . .

وبعد أن يَتمَّ ، تسلُّمُ البضاعة ، أُطلُبْ الى الحراس أن يَضربوا طوقاً قوياً حولَ البضاعةِ ، وأحضرها إليَّ تحتَ الحراسةِ المشدَّدة . .

وأمر كبيرُ الحرسِ أن يضربَ الحرّاسُ طوقاً حولَ المصنعِ ، وينتظروه ، الى أن يُتِمَّ مع الخبراء إيداعُ البضاعةِ في الصناديقِ الحديدية . . .

وَقفَ كبيرُ الحرسِ يراقبُ توزيعَ الحرسِ حولَ المصنع . . . وارتاحتْ نفسُه عندما رأى الحرَّاسَ يحيطونَ بهِ مِن كلِّ جانب ، وكأنهُمْ حزامٌ حديدي ! !

طرقَ بابَ المصنع . فلم يجبهُ أحد ! ! فأخرجَ مفتاحاً من جيبهِ وهو يقولُ في نفسهِ «إنهم لايسمعونَ الطَّرقاتِ على البابِ لشدَّةِ تعَبِهم . . . لقد أستنفذوا كلَّ طاقاتِهم في العملِ المتواصل المضني . . . »

فتحَ كبيرُ الحرسِ البابَ بمفتاحه . ودخل . . . ورأى المنظرَ الذي تقشَعرُّ لهولهِ الأجسامُ ! !

كيف لم يفطنِ الحرَسُ المنتشرونَ حولَ القصرِ الى اقتحامِ الأعداء للمصنع؟ ! !

وماذا سيفعلُ به الأميرُ الذي كلَّفَه بإحكامِ الحراسة؟ ! !

تناولَ كبيرُ الحرسِ سكِّيناً وجدها على الأرض ، وراحَ يقطعُ الخيوطَ التي تشدُّ الخبراءَ وتقيِّدُهم ، ويصيحُ بهم «كيف استطاعَ الأعداءُ ربطكم بهذهِ الخيوطِ الواهية؟ ! ! كيف استسلمتم أيها الجبناء؟ ! !»

التفتَ الخبراءُ الى كبيرِ الحرَسِ ، وخفضوا رؤوسَهم . . . ماذا يقولونَ لكبيرِ الحرس؟ ! ! هل يقولونَ له إنَّ عصفوراً هاجمهم وفعل بهم وبالبضاعة وبالأجهزة والموادِ مافعل؟ ! ! وهل سيصدقهم اذا قالوا له ذلك؟ ! !

صَمتَ الخبراء . . . ولم ينطقوا ! ! وراح كبيرُ الحرسِ يشدُّ شعَرَ رأسِهِ غيظاً ! !

لماذا لايساعدونهُ في إعطاء المعلومات؟ ! ! أتُراهم خرسوا؟ ! ! أتُراهم تواطأوا معَ الأعداء؟ ! ماذا سيفعل الأمير المنتظِر؟ ! !

دخلَ سائقُ العربةِ ، المُكلَّفُ بحملِ البضاعةِ في عربته المقفلة لقد أبطأ كبيرُ الحرسِ في الخروج بالبضاعة ، وقد طلَبَ الأميرُ أنْ يسرعوا بالمجيْ وهو الآن ينتظرُ وصولَهم على أحرِّ من الجمر !

رأى السائقُ ماحصل ! ! المصنَعُ مهشَّمٌ محطم ! ! والخبراءُ واجمون وكأنَّهم موتى ! وكبيرُ الحرسِ يضربُ رأسَهُ بيديه ! ! وكأنَّما ذهبَ عقلُه ! ! فغادر المصنعَ مُسرعاً ، وعاد الى الأمير في ديوانه . . .

رأى الأميرُ السائقَ ، وعلاماتُ الخوفِ والرُّعبِ على وجهه ! ! فقالَ له «ماذا حدث أيُّها السائق ! !؟ تكلمْ بسرعة»

قالَ السائقُ وهوَ يرتجفُ «لاأدرى ماذا حدث أيُّها الأمير ! ! المصنعُ مهَشمٌ محطم ! ! والخبراءُ لايتكلمون ! ! وكأنما أصابهم الخَرَس ! ! وكبير الحُرّاسِ في حالةٍ أشبه بالجنون ! ! »

صُعقَ الأميرُ ! ! وأيقنَ أنَّ ماحدث ، من فعلِ العصفور الذي يلاحقهمْ بلعنته . . .

حضرَ كبيرُ الحرسِ ، وركعَ بينَ يدي الأميرِ ، وراحَ يُقسم بأغلظِ الأيمان أنَّهُ لم يغفلْ عن مراقبةِ الحراسةِ لحظةً واحدةً ! !

وقال للأميرِ «كيف يقتحمُ الأعداءُ حرم القصر أيها الأمير ، وأنا أشرِفُ على الحراسِ الذينَ يحيطونَ بالقصرِ إحاطةَ السِّوارِ بالمعصم؟ ! ! فإذا رأيتَ أيُّها الأميرُ إنزالَ العقوبةِ بي وبالحرسِ ، فلن نلومك . . . ولن يلومَكَ أحد . . .كلُّ الذي أتمناه ، ياسيدي الأميرُ ، أن



أعرفَ هَويَّةَ الأعداءِ الذين هاجمونا ، بالرغمِ من إخلاصِنا في الحراسةِ وحرصنا على حمايةِ القصرِ ، وافتداءِ الأميرِ بأرواحنا . . .»

تكلَّم الأمير . . . وقالَ بحرارة «إنني على يقينٍ من صدقِك ، ياكبيرَ الحرسِ ، ومِن إخلاصِك . . . وإني على يقينٍ من صدقِ الحرس وقيامِهم بواجبِ الحراسةِ بحرصٍ وأمانة . . . وليس لكمْ ذنبٌ ، ياكبيرَ الحرسِ بما حدث . . .

إذهب الى الحَرسِ ، وطَيِّبْ خاطِرهُم . . . وتعالَوْا إليّ ـ انتم وجميعُ رجالِ القصرِ ، لتسمعوا منّي قصةً طويلة . . . وتعرفوا سرّاً كنتُ أكتمه عنكم . . .» خرج الرجل وهو أشدُّ مايكونُ دهشةً ! ! إنَّهُ لايستطيعُ أنْ يجدَ تفسيراً لحديثِ الأمير ! ! ولكنْ ، عليه أنْ يُبَلِغَ جميعَ الموجودينَ في القصرِ بأنَّ الأميرَ يدعوهم للمقابلة ! !

أَخَذَ الناسُ يتوافدونَ على ديوانِ الأمير . . . حتى أمتلأَ الديوانُ بهم . . .

ورفع الأميرُ رأسَه ، وقال لمساعدِهِ : «هل حضر الجميعُ يامساعدي؟؟»

ونظَرَ المساعدُ في وجوهِ الناس . وقالَ «نعم أيّها الأمير»

طلبَ الأميرُ كوبَ ماءٍ ، وشربَ منه قليلاً ، ليبلّلَ فَمَهُ الجاف . . . ثُمّ قصَّ عليهِم القصَّةَ ، باختصارٍ وبمرارة . . .

قالَ الأميرُ «أَمَرَتِ الأميرةُ بإزالةِ عُشِّ عصفورٍ عن شجرةِ الجميز . . . وكانَ في العُشِّ عصافيرُ صغيرة . . .

حزنَ العصفورُ لفقدِ أولادهِ الصغارِ ، وصمّم على الانتقامِ من الأميرة . . . وجعلَ أسنانَها تسقط . . .

وكانَ من المعقولِ أنْ يكتفيَ العصفورُ بهذا الانتقام . . . الذي أصاب الأميرةَ بأشدِّ الحزن . .

وأوصيتُ على صنعِ أسنانٍ صناعيةٍ للأميرةِ ، لتستعيضَ بها عن أسنانِها الطبيعية . . ولكنَّ العصفورَ مضى يلاحقُها . . ويخطفُ الأسنانَ الصناعيةَ منها ، ومن الخزائنِ الحديدية التي أحفظُها فيها . .

وحادثُ اليومِ ، هُوَ مِنْ فِعلِ العصفورِ المنتقم . . . إنَّهُ يُحيلُ حياةَ الأميرةِ الى جحيم ! ! تأكَّدوا أيُّها الرجالُ أنَّ الأعداءَ لم يهاجمونا . . ولمْ يقتحموا قصرَنا . . وإنَّما هي لعنةُ العُصفورِ ، التي تلاحقُنا بالمصائب . .

إنني حزينٌ من أجلِ الأميرةِ الغاليةِ ، التي سيقتُلُها اليأسُ والحزن . . »

مسح الأميرُ دمعةً كبيرةً انحدرت من عينه . . وظهر الحزنُ الشديدُ على الرجالِ الذين أدهشتهمُ القصة . . وخرجوا صامتين . . ولم يتبادلوا كلمةً واحدة . . .

□□□

جلستِ الأميرةُ في غرفتها . . . تنتظر عودةَ الأميرِ لتناولِ الغداء . . ولكنّه لم يَعُدْ ! !

شعرتْ بضيقٍ شديد . . وأحسَّتْ أنها السَّببُ في عذابِ الأميرِ وحزنه . .

وصمَّمتْ على عدمِ ذكرِ آلامها وأحزانِها على مسمعٍ منه . . وحتى طاقمَ الأسنانِ الذي وعَدها بإحضارهِ ، لن تسألَهُ عنه . . . ولن تطالبَهُ به . .

وعندما حضَر الأميرُ متأخراً ، شاركتهُ الطعامَ صامتة . . وتناولا القهوةَ ، دونَ أن يتبادلا كلمةً واحدة . .

نزل الأميرُ الى ديوانه . . وشعرتِ الأميرةُ بأنها تختنق ! ! فخرجت الى الشرفةِ ، وسرحتْ بأفكارها بعيداً . . .

ووقع نظرُها على عجوز الغابة ، وقد جلست في ظلِّ شجرةٍ ، تحت الشرفة ، وكانت الأميرةُ تتذكر هذه العجوزَ الطيبة . وتتمنَّى ان تكونَ الى جانبِها ، في غمرةِ الحوادثِ المتعاقبةِ ، إنها عجوزٌ طيبة . . . ويومَ أسعفَتْها في الغابة ، شعَرَتْ براحةٍ واطمئنان . . فأَحَبَّتْها . . وظلَّت تتذكرُها . . .

نادتِ الأميرةُ العجوزَ ، وقالت لها «أُدخلي القصرَ أيَّتها العجوزُ الطيبةُ ، وتعاليْ إليَّ ، في هذهِ الشرفة . . لقد أحببتُكِ كثيراً ياصديقتي . . . »

دخلتْ عجوزُ الغابةِ القصرَ ، وقصدتِ الشرفةَ ، وجلستْ على مقعدٍ قريب . . وقالتْ للأميرةِ «لماذا أنتِ حزينةٌ يا أميرتي ؟ ! ! أرى كلَّ أسبابِ السعادة متوفرةً لك ! ! »

هزّتِ الأميرةُ رأسها . . وظهرَ الألمُ على وجهها . .

وقالتْ عجوزُ الغابةِ «صارحيني أيّتها الأميرةُ بما يُحزنُك . . فقد أَستطيعُ مساعدتَكِ . . إنني عجوزٌ مُجرِّبَةَ ، ولي خبرةٌ طويلةٌ في الحياة . . . وقد أُقدّمُ لكِ نصيحةً تُريحُكِ . .»

فقالتِ الأميرةُ بألمٍ شديد «إنني في محنةٍ أيّتها العجوزُ الطيبة . . ولن يستطيعَ أحدٌ مساعدتي . .»

وقالتِ العجوز «هل هي قصّة العصفورِ أيّتها الأميرة ؟ ؟»

فقالتِ الأميرةُ متعجّبةً «وكيف عرفتِ ؟ ! !»

فقالتِ العجوزُ «سمعتُ ما قالهُ لكِ في الغابة . . ففهمتُ القِّصة جيداً . .»

انتفضتِ الأميرةُ ، وقالتْ «نعم ، أيّتها العجوزُ الطيبة . . . لعنةُ العصفورِ تلاحقني . . وتُفسد حياتي . . إنني أتعذّبُ أشدَّ العذاب . . ولولا هذهِ المصيبةُ ، لكنتُ أسعدَ النّاس ، أيّتها العجوزُ الطيبة ! !»

وقالتِ العجوزُ «ألاَ تعرفينَ أيّتها الأميرةُ ، أنَّ الأولادَ أغلى من الحياة ؟ ! ! ألا تعتقدينَ أنّكِ ظلمتِ العصفورَ ، عندما أمرتِ بإزالةِ عُشّهِ عن الشجرة ؟ ! ! وأنّكِ تسبّبتِ بقتلِ فراخه ! ! فملأَ قلبَهُ الحزنُ والألم . . . وهكذا راح يلاحقُك بالمصائبِ ، لتتعذبي مثلما يتعذب . .»

وقالتِ الأميرةُ بحزنٍ شديد «إنّني نادمةٌ أشدَّ الندمِ على ما فعلت . . لقد تصرفْتُ في ساعةِ غضبٍ ، والغضبُ يَجُرُّ المصائب . . صدقيني ، أيّتها العجوزُ الطيبةُ أنّني مستعدةٌ للاعتذارِ للعصفور ، وتعويضهِ عما سبّبْتُ له ، اذا كفَّ عن إيذائي . .»

فقالتِ العجوزُ «يجب أن نبحثَ عن الشيءِ الذي يخفّفُ عذابَهُ وألمَهُ . . لأنَّ الألمَ والعذابَ يدفعانِ الى الانتقام . .»

وقالتِ الأميرةُ بلهفةٍ «وماهو الشيءُ الذي يخفّفُ عذابَه وألَمَه ؟ ! ! دلّيني عليه أيّتها العجوزُ الطيبة . .»

وقالتِ العجوزُ «حفظَكِ اللهُ أيّتها الأميرة . . . الكلمةُ الطيّبةُ تخفّفُ العذابَ والألم . . والاعتذارُ يمحو الحقدَ ، ويغسلُ القلوبَ من المرارة . .»

إمتلأتْ عينا الأميرةِ بالدموع . . وقالتْ للعجوزِ «سأعتذرُ للعصفور المسكينِ عمّا سببته لهُ من العذابِ والألم . . . وسأسامِحُهُ عن كلِّ ما حصل منهُ تجاهي . . . وسأقولُ له إنّني أنا التي أخطأتُ أولا . . . وسأعرضُ عليه استعدادي لتعويضه . . .»

وقالتِ العجوزُ وقد بدا عليها الارتياحُ «إنّني أعتقدُ أن العصفورَ سيقبل عذرك ، وأنّه سيسامِحُكِ ، ويغفرُ لك . . . وسيرتاحُ هو من عذابِ الحزنِ والألمِ ، وستسلمينَ أنتِ من الأذى . . .»

فرحتِ الأميرةُ فرحاً شديداً . . . وتفاءلتْ بنصيحةِ العجوز وقررت أن تأخذَ بها . . .

دخلتِ الخادمةُ وقالتْ للأميرة «الأميرُ بانتظاركِ يا سيدتي الأميرةُ ، فتفضلي وتناولي الغداء معه . . .»

قامتِ الأميرةُ ، وذهبتْ الى غرفةِ المائدةِ وتناولتْ غداءها مع الأميرِ بشهية ! ! وشربتِ القهوةَ معهُ بعدَ الغداء ، ولم يبدُ منها ما يدلُّ على الحزنِ والألم ! ! ثم استأذنتِ الأميرَ ، ودخلتْ غرفتَها ونامتْ نوماً هادئاً عميقاً ! !

إرتاح الأميرُ ارتياحاً شديداً . . كان لا يعرفُ ماذا يقولُ لها لو سألتْهُ عن طاقمِ الأسنانِ الذي وَعَدَها به . . . وكانتْ ستصعقُ لو علمتْ بما حلَّ بالمصنع ! ! وكان لا يقدرُ على رؤيتها تتعذب . . وبخاصّةٍ بعدَ أن فشلتْ كلُّ خططهِ في مواجهةِ تحدّي العصفور ! !

استيقظتِ الأميرةُ ، وحَمدتِ اللهَ على أنَّ الأمير قد ذهبَ الى ديوانه . . . إنها تريدُ أنْ تخلّو الى نفسها . . . إنّها تتمنىَّ أنْ يَحْضُرَ العصفورُ لتعتذرَ له . . وتسترضِيَه . . إنّها تشعرُ بالّندمِ الآن . . لقد ادركتْ خطأها . . فهي التي بدأتْ بعملِ الشر . . . والخيرُ بالخيرِ والبادي أكرمُ . . . والّشرُّ بالّشرِّ والبادي أظلمُ . . .

فتحتِ النوافذَ على مصاريعها . . . وراحتْ تنتظر . . .

بعد فترةِ انتظارٍ صعبة . . رأتِ العصفورَ يقفُ على حافّةِ النافذة . . وقبلَ أن يتكلّمَ العصفورُ ، تقدَّمَتْ منه ، وقالتْ بلهجةٍ فيها صدق . . وفيها نَدَم . . .

أرجوكَ أيها العصفورُ أنْ تسامِحني . .
لقد أخطأتُ في حَقِّكَ في ساعةِ غضب . .
والغضبُ يدفعُ النَّاسَ الى العملِ الخطأ . .
لقد حرمتُكَ ، وحرمتُ نفسي ، وحرمتُ الغابةَ من السعادة . . .
ولم أكنْ أُدركُ أنَّ سعادتنا جميعاً . . . تنبعُ من سعادتِك . .

بكى العصفورُ تأثُّراً . . وبكتِ الأميرةُ ايضاً . .
وتكلَّمتِ الأزهارُ والورودُ التي كانتْ تُزينُ قاعاتِ القصرِ وشرفاته . . وقالت:

أيها العصفورُ الذي لا يليقُ به الحزن . .
العفوُ من شِيَمِ الكرامِ أيُّها العصفور . .
إصفَحْ عنِ الأميرةِ ، واغسلْ قلبَكَ من الحقد . .
وسنبني لكَ عُشّاً جديداً في قلوبنا . .
وستعودُ الفرحةُ الى الأميرةِ والورود
ولكَ ، ياعزيزَنا العصفور . .

رفرفَ العصفورُ بجناحيه . . وارتعشَ جسمُه انفعالاً . . وسالت دمعةٌ على منقارِه . . ثم سقطتْ على حافة النافذة . . وقال بنبرةٍ فيها كرمٌ ، وتسامح :

إنّي أُسامِحُكِ أيتها الأميرةُ
«فالعفوُ عند المقدرةِ» مَكرُمَة . .
ستعود أسنانُك اللؤلؤ اليك . .
إبحثوا عن «بذرة الاسنانِ» في «جزيرة الغفران»
وستنمو البذرةُ بسرعة . . فتنمو معها أسنانُك . .
لأننا تصالحنا . . وغسلْنا قلوبَنا من الحقد . .

طارَ العصفورُ واختفى . . وشعرتِ الأميرةُ بالأملِ يملأُ قلبَها المُعذَّبَ . . الحزين . . الذي لم يعرفِ الراحةَ منذُ مدةٍ طويلة . .

وتفتحتِ الورود في البستانِ . . وراحتْ ترسل عطرَها ، ليملأَ كلَّ ارجاء القصر . .

وجاءَ الأميرُ من ديوانهِ مسرعاً . . كانَ يجلسُ في ديوانِهِ مكتئباً حزيناً . . فاذا بموجةِ نسيمٍ عطرةٍ تقتحمُ عليه وِحْدَتَه . . وتدخُلُ الى صدرِهِ ، فينشرحُ . . ويبتهجُ . .

وسمعَ حفيفَ أوراق الشجر وكأنَّها معزوفةٌ في حفلةِ عرسٍ . .

قَصَّتِ الأميرةُ على الأميرِ ما حدث . . ففرحَ فرحاً شديداً . . وطلبَ «عجوز الغابة» فجاءتْ على عجل . . وأعطاها مكافأةً سخيَّةً . . وقالَ لها «هل تعتقدين . أيتّها العجوز الطيبة أنَّ ما قاله العصفورُ صحيح ؟ ! !» فقالتِ العجوزُ بِثِقَةٍ «العصافيرُ لا تكذِبُ أيها الأمير . . وما عليكَ إلاّ أن تبحثَ عن «بذرةِ الأسنان» في «جزيرةِ الغفرانِ» وعندما تحصلُ على البذرةِ ، تنتهي المأساةُ . . وتعودُ لكم السعادة . .»

استأذنتِ العجوزُ الأميرين في الذَّهابِ الى الغابةِ ، لأنَّ الغابةَ مكانُها الذي تُحِبُّه . . وودعتهما ، ومضتْ ، والسَّعادةُ باديةٌ على وجهها . .

وقالتِ الأميرةُ للامير «كيف نستطيعُ الحصولَ على «بذرةِ الأسنانِ» من «جزيرةِ الغفرانِ» أيها الأمير؟ ! .»

فقال الأمير «سأرسلُ كلَّ رجالِ البحرِ للبحثِ عنها»

فقالتِ الأميرة «أريدُ أن أُوضِحَ للناسِ أمراً أساءوا تفسيرَه . . لقد اتَّهموني بالكبرياء والتَّعالي ، عندما جَبُنْتُ عن مقابَلَتِهم يومَ أتَوا الى القصر . كنتُ لا أُريدُهم أنْ يروْا وجهيَ بدونِ أسنان . . وكنت لا أستطيعُ نُطْقَ بعضِ الحروفِ لأنّني بلا أسنان . . فلم أتحدثْ اليهم . .

وقابلتُهم مرةً في ميدانِ المدينة ، فأداروا ظهورَهم . . وإنَّني الآن على استعدادٍ لأن أُطلعَهمْ على ظروفي . . لأستعيدَ محبَّتَهم وإخلاصهم . . . وعندَها سيبحثون عن «بذرةِ الاسنانِ» في «جزيرةِ الغفرانِ» بدافعِ الإخلاصِ والحب . .»

وافق الأميرُ على ما قالتهُ الأميرةُ ، ودعا النّاس الى اجتماعٍ عامٍ يُعقدُ في ميدانِ المدينةِ الكبير . . .

وتقدّمتِ الأميرةُ للذهابِ الى الاجتماعِ ، وهي لا تشعرُ بالحرجِ من منظرِ فمها الخالي من الأسنان . . فلا يَصِحُّ أنْ تُخفيَ الحقيقةَ عن الناسِ ، لئلا تخسرَ ثقتَهم . . . وستستعيدُ أسنانَها اللؤلؤ ، بعدما يعرفُ الناسُ ظروفَها . . ويستعيدون ثقتَهم بها ، ويبحثونَ عن «بذرةِ الأسنانِ» في «جزيرةِ الغفرانِ» بإخلاصٍ ومحبه . . .

دخلتِ العربةُ بالأميرِ والأميرةِ ميدانَ المدينةِ الفسيح . . وكانَ قد امتلأَ بالنّاسِ على سِعَتِهِ ! !



ورأيا جميعَ السيداتِ والفتياتِ في الميدانِ ، وقد أسدلنَ على وجوههنَّ البراقع ! !

فَهمتِ الأميرةُ ما تعني هذه الظاهرة . . لقد عرفَ الناسُ مأساتَها . . وحجبتِ النساءُ وجوهَهن مراعاةً لشعورها ! ! لأن رؤيةَ الوجوهِ الجميلةِ ستثيرُ في نفسها ذكرياتٍ حزينة . . بعد أنْ خسِرَتْ جمالَها . .

ودوَّتْ في الميدانِ عاصفةٌ من التصفيقِ الحادِّ ! ! وهتف الناسُ للأميرين الطيبين ! !

وعندما تَرَجَّلَ الأميران من العربة ، وصعدا الى المنصَّةِ التي أُعِدَّتْ لهما تقدَّمتْ سيدةٌ من المنصَّةِ وراحتْ تخطبُ بصوتٍ جهوري . . «لقد عرفنا المأساةَ التي حلَّتْ بالأميرة . . حادِثُ المصنعِ أوضَحَ لنا كلَّ شيْ . . إننا نعتذرُ عن الاتهامات التي رمينا بها الأميرة . . ونحن نُشارِكُها الأَلَم . . ومن أجلِ هذا قرَّرنا وضعَ البراقعِ على وجوهِنا ، لئلا ترى الأميرةُ أفواهاً تزينها الأسنان . . أو ابتسامةً تكسب الوجوهَ اشراقاً وبهجةً . . فتثيرُ أحزانَها . . إننا نعاهدُ الأميرةَ الطَّيبة ، أنْ تبقى البراقعُ مسدلةً على وجوهِنا ، الى أن تنتهى محنتُها . . ويُحدثُ بعد عسرٍ يسرا . . .»

كانَ النَّاسُ يستمعون الخطيبة ، والألمُ يعتصرُ قلوبَهم . . وعندما انتهتْ أجهشَ الجمهورُ بالبكاء . .

وصاحتِ الأميرةُ من فوقِ المنَصَّة ، وقد هزَّها إخلاصُ النَّاس لها . . ومشاركتَهم النبيلةُ في محنتِها . . كما أنَّ رؤيةَ البراقعِ على وجوهِ السَّيدات والفتياتِ ، هزَّتْ مشاعرَها هزّاً عنيفاً ! !

صاحتِ الأميرةُ بصوتٍ جهوري ! ! وبنُطقٍ سليم ، لم يشوّهْهُ خُلُوّفها من الأسنان ! !

(يا احبائي . . يا أهلي ، ويا أعزَّ وأغلى . . إنّني عاجزةٌ عن التَّعبيرِ عن شعوري بالسعادة ! ! فحُبُّكم أنساني كلَّ العذابِ الذي مزَّق قلبي لشهورَ طويلة . .

إنني أزُفُّ اليكم بشرى سعيدة . . فالمحنةُ قد انتهتْ ، وستعودُ السَّعادةُ ، لنا ولكمْ ، وللمدينةِ التي شاركتني أحزاني .

إنّني أرجو زوجيَ ، الأميرَ الطيِّب ، أنْ ينقلَ اليكم البشرى السعيدةَ ، وأرجو منكم أن تُعينوني على الحصولِ على السَّعادةِ ، لأنَّ سعادتي مشروطةٌ . . ورهنٌ بإخلاصِكم ،

وتعاونِكم . .)

وصاحَ الجمهورُ بصوتٍ واحد «نحن في خدمتِك أيتها الأميرةُ الطيبة . . نحنُ على استعدادٍ للتضحيةِ بأرواحنا ، لنجلِبَ لكِ السعادة . .»

وتقدَّمَ الأميرُ ، وتكلَّمَ بوضوح . . قالَ الأميرُ «أُيها الجمهورُ الطيِّبُ النبيلُ ، أشكركمْ أحرَّ الشُكرِ على عواطِفِكم . . وعلى شعورِكم المرهفِ ، الذي ينبعُ من أصالتِكُم ، ومن طيبِ معدَنِكمُ . .

إنَّ أسنانَ الأميرةِ ، لن تعودَ ، إلاّ إذا حصلنا على «بذرةِ الأسنانِ» من «جزيرةِ الغفرانِ» . .

إنّني أُناشِدُ جميعَ رجالِ البحرِ ، البحثَ عن هذه البذرة ، وعن جزيرةِ الغفران في كلِّ جهاتِ الدُّنيا . . وإنّني أَعِدُ من يهتدي الى الجزيرةِ ، ويُحضِرُ منها «بذرةَ الأسنان» بأكبرِ مكافأةٍ تخطرُ على بالِ إنسان ! !)

وصاح رجالُ البحر الذين جاءوا يُلبُّونَ دَعوَةَ الأميرِ للاجتماع «إنّنا على استعدادٍ للبحث عن «جزيرةِ الغفرانِ» حتى لو كانت في أقصى بقاع الدنيا ! ! سنجدُها أيُها الأمير . . وسنحضِرُ منها «بذرة الأسنانِ» فطلبُك مقدّس . . ولابُدَّ من تلبيتِهِ . . مهما كلَّفنا ذلك من جُهد ومشقة . .»

وقالَ الأميرُ «كلُّ من يريدُ البحثَ عن الجزيرةِ ، يأتي الى ديواني ليقبضَ تكاليفَ الرحلة . . ويأخُذَ كميةً كبيرةً من المؤَنِ والحاجيّاتِ التي تستلزمُها الرحلة . . ولْتبدأوا الرحلةَ من الغد . .»

وصاحوا جميعاً «سنكون في ديوانِكَ أيّها الأميرُ ، حالَ عودتِك اليه . .»

وقال الأميرُ بسعادةٍ وفرح «وسأكونُ أنا والأميرةُ في وداعِكم ، على شاطيءِ البحرِ» .

وفي صباحِ اليوم التالي كان الأميران ، وجَمْعٌ غفيرٌ من الناسِ يحتشدون على شاطيءِ البحر ، يلوِّحون لرجالِ البحرِ مودّعين ، ومُتمَنّين لهم النجاح . .

وأقلعتِ البواخر ، والقواربُ والمراكبُ ، تتهادى في البحرِ ، تتبَعُها هتافاتُ الجماهيرِ المتفائلة . . الى أنْ اختفت عن الانظار . .

مضتِ الأيامُ تِباعاً ، والأميران ينتظران . . وكانَ الأملُ قد حلَّ محلَّ اليأسِ والحزنِ ، فراحتِ الأميرةُ تستعيدُ حيويتَها ونشاطَها بسرعة . . وصارتْ تخرجُ الى الغابةِ في رياضتها الصباحية ، دونَ أنْ يصادفَها ما يزعجها . .

كان الانتظارُ ثقيلاً ! ! ولكنَّ البحثَ عن جزيرةٍ لم يسمعْ عنها أحد ، عمليَّةٌ صعبة ! ! ولابُدَّ أنْ تستغرق وقتاً طويلا . .

كان الأميرُ قَلِقاً ، بعد أنْ أخَذَ بعضُ رجالِ البحر يعودون . . وقال العائدون إنَّهم مضوا في رحلاتِهم الى بلادٍ جِدّ بعيدة ! ! وعَبَروا بحاراً لم يعبرْها قبلَهم أحد . . وسألوا كلَّ رجالِ البحر الذينَ كانوا على الشواطئِ التي ينزلونَ عليها . . ولكنَّ جهودَهم لم تُفلح . . .

أخفى الأميرُ عن الأميرةِ أخبار رجوعِ معظمِ رجالِ البحر . . وكانت الأميرةُ عندما تشعرُ بالضيق ، تعودُ فتتذكر أقوالَ العصفور . . وهي واثقةٌ بأنَّه كان صادقاً . . وتستعيدُ في خاطِرها ما قالتهُ عجوزُ الغابة . . ولا شكَّ أنَّها كانت صادقةً أيضاً . .

عادتْ جميعُ البواخرِ والقواربِ والمراكبِ بالبحارةِ الذين أقلعوا للبحثِ عن «جزيرةِ الغفرانِ» وشرحوا للأميرِ ، وهم في أشَدِّ حالاتِ الحزن ، كيف أنَّهم فشلوا في الوصول الى تلك الجزيرة . . أو الى معرفة أيِّ شيْءٍ عنها ! !

كانَ مركبٌ صغيرٌ واحدٌ لم يَعُدْ . . إنَّه مركبُ «معروف» ذلك الشابِّ الذي لم يصحبْ معه أحداً في الرحلة . . ولا شكَّ أنَّ المركب قد انقلبَ به ، ومات ، دون أنْ يشعَر به أحد . .

عرفتِ الأميرةُ بعودةِ رجالِ البحر . . فأيقنتْ أنَّ عمليةَ البحثِ قد فَشِلَتْ . . فاستولى عليها اليأس . . وغلبَها الحزن . . وضاقتِ الدنيا في وجهِها . .

وذات صباحٍ جلسَ الأميرُ في ديوانِهِ صامتاً حزيناً . . لقد أصبح يُفَضِّلُ الصمت . . ويَسْتَسْلِمُ الى التفكير . .

كان ينتظرُ عودةَ رجالِ البحر الذين أقلعوا للبحثِ عن بذرةِ الأسنانِ بأمل . . وقد عادوا جميعاً دونَ أنْ يجدوا جزيرةَ الغفران . . فامتلأَ قلبُه يأساً . . وإنَّ حالةَ الأميرةِ الغالية تبعثُ في نفسه أشَدَّ الحزن . .

وممّا زادَ أَلمهُ ذلكَ الحديثُ الذي جرى بينه وبين الأميرةِ هذا الصباح . . . لقد رفضت أن تتناولَ معه طعامَ الإفطار . . وقالت له بحزن شديد «إنّني فقدت الأملَ أيّها الامير في العثورِ على جزيرةِ الغفران . . أوْ بذرةِ الأسنان . . ووجودي في القصرِ يسبّبُ لكَ الحزن . . لذلك أرى أنْ أُبتعِدَ عن القصر . . لتعودَ السعادةُ لك . . ولأهلِ المدينة . .»

وقال لها الاميرُ «ماذا تقولينَ يا أميرتي ؟ ! ! إنَّ معروفَ لم يَعُدْ بمركبهِ بعد . .»

وقالت الأميرة «في اعتقادي أنّهُ غرق في البحر . . لقد مضى على إبحارهِ ستّةُ شهور . . . ولا أظنُّ أنّهُ لا يزالُ حياً . .»

وقالَ لها الأميرُ وهو يخفي عنها اعتقادَه بأنَّ معروف قد غرقَ بمركبهِ «يجب أنْ تتصوّرى أنّه نجحَ في الوصول الى جزيرةِ الغفران . . وقد يعودُ حاملاً بذرةَ الأسنانِ ياأميرتي الغالية . .»

فتنتفضُ الأميرةُ وتقولُ بيأسٍ «هذا مستحيل ! ! مستحيل ! !»

ويقولُ الاميرُ «ليس هناكَ مستحيلٌ يا أميرتي . . يجب أنْ تصبر . .»

وتقولُ الأميرةُ وفي عينيها الدموعُ «لا أستطيعُ أنْ أصبرَ أكثر . . أرجوكَ أيّها الأميرُ أنْ تُحقّقَ لي رغبةً بسيطة . .»

ويقولُ الاميرُ «سأحققُ كلَّ رغباتِكِ يا أميرتي . . أُطلبي ما تريدين . .»

فتقولُ الأميرةُ «أريدُ فقط ، منزلاً متواضِعاً . . بعيداً عن الناس . . أستطيعُ فيه أنْ أخْلُوَ الى نفسي . .»

لقد تركها الأميرُ ، بعد أن سمعَ طلبها وحضرَ الى ديوانهِ . . إنَّ كلماتِها اليائسة لا تزالُ ترِنُّ في أذنيه . .

دخلَ على الأميرِ كبيرُ المساعدينَ وقالَ له «أسعدَ اللهُ صباحَكَ أيّها الأمير . . اراكَ مكتئباً هذا الصباح ؟ ! !»

فقالَ لهُ الأميرُ «وأسعد اللهُ صباحَكَ يا صاحبي . . إنّني حزينٌ من أجلِ الأميرة . . ولم يعد عندي ما أقولهُ لها . .»

فقالَ كبيرُ المساعدين «إنَّ حزنَكَ يحزِنُنا أيّها الأمير . . فإذا كنت ترى طريقةً لتخفيف ألمِ الأميرة الغالية ، فنحن على استعدادٍ لتنفيذها . .»

هزَّ الأميرُ رأسَهُ بألم . . وقال «ليس هناكَ ما يخفِّفُ من ألمِ الأميرة . . لقد عملتُ كلَّ ما يمكنُ عملُهُ . . أمرتُ بإخراجِ جميعِ المرايا من القصر . . لئلا ترى وجهَها فيزدادُ ألمُها . . أحضرتُ لها أنواعاً من البراقعِ المرصَّعةِ بالجواهرِ ، تغطِّي بها وجهَها . . فألقَتْ بها جانباً . .

إنَّها لا تتكلمُ إلاَّ قليلاً . . لأنَّها تكرهُ أنْ يسمعها أحدٌ ، بعد أنْ أصبحتْ لا تستطيعُ نُطْقَ بعضِ الحروفِ ، نطقاً سليماً . . .

كانتْ تُعلِّقُ آمالاً كبيرةً على رجالِ البحرِ الذين أبحروا للبحثِ عن جزيرةِ الغفران . . ولكنَّها أصيبتْ بخيبة أملٍ شديدةٍ عندما عادَ هؤلاء ، دونَ أن يجدوا الجزيرة . . إنَّها تعتقدُ أنَّ العصفورَ خدعَها . . وقد فاجأتني اليومَ بطلب . . تألمتُ له أشدَّ الألم . .»

فقال كبيرُ المساعدين «ألا تستطيعُ تحقيقَ طلبِها أيها الأمير؟»

فقال الأمير «لا . . يا صاحبي . . طلبُها يصعُبُ عليَّ تحقيقُه . . إنَّها تطلبُ أنْ تعيشَ في منزلٍ متواضعٍ . . . بعيداً عن النَّاس . . . وهذا يَدُلُّ على درجةِ اليأس التي وصلتْ اليها . .»

تأثَّر كبيرُ المساعدين كثيراً . . ورأى أنَّ حزنَ الأميرِ له ما يبرره . . فالأميرةُ عزيزةٌ عليهِ الى درجةٍ كبيرة . . ثم إنَّ طلبَ الأميرةِ الخروجَ من القصر ، والأبتعادَ عن الناسِ ، أمرٌ صعبٌ . . صعبٌ ومحزن . . . ومحنَةُ الأميرةِ تستعصي على الحلِّ . .

ومما زادَ من مرارةِ الموقف ، أنَّ أحزانَ الأميرةِ والأميرِ انعكست على المدينةِ كلِّها . . إنَّ نساءَ المدينةِ وفتياتِها اللواتي أسْدَلْنَ البراقع على وجوهِهن مراعاةً لمشاعرِ الأميرة ، حزيناتٌ . . كما أنَّ الرجالَ الذين يروْنَ هؤلاء النساءَ والفتياتِ ، والبراقع تغطي وجوهَهن ، يشعرونَ بالحزن . .

إنَّ السعادةَ قد فارقتِ المدينةَ تماماً . .

وفهمَ الأميرُ ما يجولُ بخاطرِ كبيرِ مساعديه . . فقال له «إنني أفكر في الطلبِ الى جميعِ النساءِ والفتياتِ أنْ يخلعنَ البراقع اللاتي يُسْدِلْنَها على وجوهِهنَّ مراعاةً لمشاعرِ الأميرة . . لأنَّ الأميرة لمْ تعُدْ تخرجُ من القصر . . حتى ولا تُطِلُّ من الشرفةِ أو النافذة . . وليس من العَدْلِ أن تلبسَ المدينةُ ثيابَ الحزن من أجلِ أحد . .»



وعلا صوتُ أحدِ الحرسِ في الخارج ! ! وسمعَ الأميرُ وكبيرُ مساعديهِ ضجيجاً عالياً ، ولكنَّهُ ضجيجُ فرح ! ! فيه رَنَّةُ سعادة ! !

إقتحمَ الحارسُ ديوانَ الأميرِ وهو يلهثُ ! ! وقالَ للأميرِ «لقد عادَ مركبُ معروف أيُّها الأمير ! ! إنَّهُ يمخرُ البحرَ الى شاطئِنا ! ! وقد رفعَ على ساريةِ المركبِ أعلاماً مُزَيَّنَةً ! !»

وَهَبَّ الأميرُ وكبيرُ مساعديه وهما يسألانِ الحارسَ بلهفةٍ كبيرةٍ «هل أنتَ متأكدٌ أيُّها الحارس ؟ ! !»

وردَّ الحارسُ ووجهُهُ يفيضُ بالسعادة «كلَّ التأكيدِ ! ! سيكونُ على الشاطئِ بعد نصفِ ساعة ! !»

خرج الأميرُ من الديوانِ مسرعاً . . فإذا به يلتقى بالأميرةِ التي هزَّها الخبر ! ! لقد زَفَّ البشرى اليها حارسٌ آخرُ من حُراسِ الشاطئ ! !

إستَقَلَّ الأميران عربتَهما الى الشاطئ . . وتبعهما كلُّ من في القصر . . وتتابع وصولُ الجماهيرِ الغفيرةِ الى الشاطئ . لتكونَ في استقبالِ معروف . . واقتربَ المركبُ يتهادى . . بينما ترفرفُ على ساريتِهِ أعلامُ النصر ! ! وعَلَتْ هتافاتُ الجماهير التي ملأتْ قلوبَها السعادة ! !

وعندما رسى المركبُ على الشاطئِ نزلَ منهُ معروفٌ وهو يرفع بين يديه صندوقاً صغيراً ! ! وحمل الناسُ معروفَ على الأكتافِ ! ! وجاءوا بهِ الى الأميرينِ المرتجفينِ من شدةِ الفرحِ ! ! فعانقهُ الأميرُ بحرارة . . .

وقالَ معروفُ بسعادةٍ «لقد نجحتُ في المُهِمّةِ أيها الأميران الغاليان ! ! وقد ساعدني على إحرازِ النجاح ، صديقي الصياد ، وزوجتُهُ مرمرةُ المغامرة . .»

ورفعَ معروفُ الصندوقَ قائلاً «هذهِ بذرةُ الأسنانِ في هذا الصندوقِ ! ! وسوف تزرعها «مرمرةُ المغامرة» لتنموَ خلالَ دقائقَ ! ! وتنموَ معها أسنانُ الأميرةِ ! ! وصاحتِ الأميرةُ بفرحٍ عظيمٍ «وأينَ مرمرةُ المغامرةُ يامعروف ؟ ؟»

فقالَ معروفُ «أنّها معي في المركبِ مع زوجها الصياد . . .»

فصاحَ الأميرُ برجالهِ «أُطلبوا الى مرمرةِ المغامرةِ أنْ تأتيَ ، وتزرعَ بذرةَ الأسنان . . .»

صعدَ رجالُ الأميرِ الى المركبِ . . . ورأى الناس فتاةً في غايةِ الجمال ، تنزل من المركب ، والى جانبها زوجُها الصَّيادُ يفيضُ وجهُهُ بالسعادة . . .

أخذتْ مرمرةُ المغامرةُ الصّندوقَ من معروف ، وطلبتْ من الناسِ المتجمهرين أنْ يفسحوا لها مكاناً قريباً من الأميرة . . . ثم حفرتْ حفرةً صغيرةً . . . وفتحت الصندوقَ ، وأخرجت منه بذرةً بحجمِ حبّةِ اللوز ، ووضعتها في الحفرةِ وغطّتْها بالتراب . . .

كانَ الناسُ يراقبونَ ما يجري ، وهم بينَ مُصدّقٍ ومكذّبٍ ! ! ! ولكنَّ نبتةَ عشبٍ صغيرةٍ ، شقّتْ ترابَ الحفرة ! !

وصاحتْ سيدةٌ قريبةٌ من الحفرة «إنّي أرى عشبةً صغيرة ! !»

وراحتْ نبتةُ العشبِ ترتفع ! ! وترتفع ! ! والأميرانِ يُمْعِنانِ النظر ! ! بينما قلباهما يخفقانِ فرحاً ! !

وأصبحتْ نبتةُ العشبِ ساقاً ! ! وراح الساق يرتفع ! ! ويرتفع ! ! الى أنْ أصبحَ جذعاً ! !

وخرجَ من أعلى الجذعِ فرع ! ! ونَبَتَ في رأسِ الفرعِ برعم ! !

بدأ البرعمُ يتفتح ! ! وظهرتْ زهرةٌ بيضاءُ لامعه ! ! وقالتِ الأميرةُ للأميرِ الذي أذهَلَهُ

ما رأى «أشعر بشيءٍ في فكيَّ أيها الأمير ! ! أشعر كأنَّما أسناني تنمو ! ! »

واكتمل تَفتُّحُ البرعم ! ! وتكوَّنتِ الزهرةُ البيضاءُ اللامعةُ على شكلِ صفَّينِ من اللؤلؤ ! !

وصاحتِ الأميرةُ بسعادة لا يمكن وصفُها «لقد نَمَتْ أسناني ! ! لقد نَمت أسناني ! ! »

ونظر النَّاسُ الى الأميرةُ المبتسمة ! ! فاذا أسنانها اللؤلؤ قد عادت كما كانت ! !

ارتمتِ الأميرةُ على صدرِ «مرمرةِ المغامرة» وراح الأميرُ يعانقُ معروفَ بحرارةٍ عظيمة ! ! !

خلعتِ النِّساءُ والفتياتُ البراقعَ التي وَضعْنَها على وجوهِهن . . . وراح الناسُ يرقصون ، وهتافاتُهم وضجيجُهم تَهزُّ الأرجاء . . .

وقال الأميرُ لمعروفَ والصيادِ ومرمرةِ المغامرةِ «أطلبوا ما تشاءون مكافأةً على إعادةِ سعادتِنا . . . »

فقالتْ مرمرةُ المغامرةُ «أريدُ منك أيُّها الأمير ، أن تبنيَ ليَ ولزوجيَ الصَّيادِ ، منزلاً على شاطئْ البحر . . . أعيش فيه مع زوجي بسعادة . . . إنَّني أُحبُّ البحر وأحبُّ أن أظلَّ قريبةً منه . . . كما أنَّ زوجي الصياد يحبُّ البحرَ مثلي . . . وسيواصل صيد السمك من البحر . . . »

فقال الأميرُ لمرمرةِ المغامرة وزوجها الصَّياد «سأبْني لكما قصراً على البحر . . . وأعطيك أيها الصياد مركباً فخماً ، بَدَلَ مركَبكَ الذي غرق . . . لتتنزه فيه مع زوجَتِك مرمرة . . . »

والتفت الأميرُ الى معروفٍ وقال له «لماذا لا تتكلَّمُ يا معروف ! ! ما هي المكافأةُ التي تريدُها مقابلَ بطولتِك ؟ ؟ »

وقالَ معروفُ وهو يكادُ يطيرُ فرحاً «يكفيني يا سيِّدي الأمير ، أنني استطعتُ إعادةَ السعادةِ ، لَكَ ، وللأميرةِ الغاليةِ ، ولجميعِ أهلِ بلدِنا . . . إنَّ هذه أكبرُ مكافأةٍ يحصل عليها إنسانٌ طيب . . . »

فقال لهُ الأميرُ «سأبني لكَ يا معروفُ قصراً عظيماً ، مُقابِلَ قصري . . . وأجعلُكَ من كبارِ الموظفين ، لأنّكَ قُمتَ بعملٍ بطوليٍ ، لا يستطيعُ القيامُ به إلاّ الأبطال ! !»

صفّقَ الناسُ طويلاً . . . وعَمّتْ مظاهرُ الفرحِ والبهجةِ . . .

وصاحَ النّاس بصوتٍ عالٍ «قُصَّ علينا يا معروفُ ، كيفَ اهتديتَ الى جزيرة الغفرانِ ، وكيفَ استطعتَ إحضارَ بذرةِ الأسنان ؟ ! !»

فقالَ معروفُ «سأَقُصُّ عليكم قصةَ الرحلةِ كلِها . . . لتسمعوا قصةً لم يسمعْ مثلَها أحد ! ! ولتعرفوا الأهوالَ التي لم يلقَ مثلَها أحد ! ! والتي لايكاد يصدقها عقل ! ! ولكنْ ، أرجوكم أنْ تعطونيَ مهلةً لأرتاح ، وأستَجْمِعَ أفكاري . . . لأنني لا أزالُ في حالة ذهول ! ! لشدّةِ ما لاقيتُ ! !»

فقال الناس بحماسٍ شديد «سننتظرُ يا معروف . . . مع أنّنا في أشَدِّ الشوقِ لمعرفة أحداثِ الرحلةِ المعجزة ! !»

أمّا أحداثُ ، الرحلةِ المعجزة ، والتي حكى معروفُ تفاصيلَها ، فستأتي في الجزء الثاني من قصةِ « ماذا جرى ، أيتها الأميرة ؟ » في كتاب عنوانه :

مغامرات معروف